الباب الأول

نور عالم خليل الأميني كاتبا ومصلحا

نور عالم خليل الأميني كاتبا ومصلحا

سندرس فى هذا الباب حياة فضيلة الشيخ نورعالم خليل الأمينى وأعماله، وأهم الكتب المؤلفة والمترجمة التى أنجزها، ومساهمته في اللغة العربية وآدابها بممارسة الخدمات فى المجالات المتنوعة المعنية باللغة العربية.

مولده ومنشأه:

هو نور عالم الأمينى بن الحافظ خليل أحمد بن رشيد أحمد بن محمد فاضل بن كرامت على الصديقي، وكنيته: (أبو أسامة نور) ، وُلِدَ يوم الخميس 1952/12/18م (1372/4/28هـ) فى خؤولته (هرفور بيشى) (Harpur Beshi) بمديرية (مظفربور) في ولاية (بيهار)

وأما عمومته فهى (رانبور) (Raipur) بمديرية سيتامرهى (Sitamarhi) في ولاية (بيهار) .

ينتهى نسبه من أبيه وأمه إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضى الله عنه. مات أبوه وله ثلاثة أشهر، فنشأ وترعرع في كنف أمه وجدته من الأب.

وكان أبوه يعمل مدرسًا في إحدى مدارس مديرية (ديناج فور) بولاية بنغال، فلما بلغه نبأ ولادة ابنه، لكونه الابن البكر الوحيد، ذهب إلى وطنه ليكتحل برؤية ابنه. وكانت المنطقة آنذاك مَوْؤوبَةً بالهيضة، فذهب ضحيتها (إنّا لله وإنا إليه راجعون) .

كان أبوه قد تعلَّم فى مدينة (إله آباد) وكان حافظا للقرآن ومجوِّدًا له، وخطيبًا بارعًا، ظريفًا خفيف الروح، حاضر النوادر، كان يحمل بيده خيزران، وشعره لِ ِمَّة، طويل القامة، وإذا خطب أسَرَ السامعين بخطابه.

وكان حسنَ الزيِّ، وذا تنسيقٍ في شؤون الحياة، متعهِّدًا بالوقت والوعد، يعمل كل عمل فى وقته.

لم يرث شيئًا من أبيه: رشيد أحمد الذي كان قد توفيَّ فى حياة جدِّه محمد فاضل الذي كان يملك عقارًا وأراضى واسعةً؛ لأنّه كان قد حُجِبَ حَجْبَ حرمانٍ، ولما كانَ صبورًا قَنُوعًا ومتزنًا في أمور الحَياة تَغَلّبَ على مشكلاته المعيشية، ورضى براتبه الضئيل الذي كان يتقاضاه من المدرسة، وعاشَ

حياةً بسيطةً ساذجةً .

تعليمه :

فلما بَلغَ الرابعة أوالخامسة من عمره بَدَأ كتاب «القاعدة البغدادية» (الذي يقرأه الصبيان في الكُتّاب عندنا في الهند) على جدّه من الأم، الذي تمَّ تدشين تعليمه عليه، وقد توفي وهو صبيٌّ، وكان رجلاً صالحاً متديناً، محافظاً على الصلاة، ساذجًا، قد تخرَّج في مدرسة «جشمه رحمة» في «غازيفور» بولاية «أترابراديش» التي كانت لها سمعةٌ طيبة في التربية والتعليم، ولاسيما في تعليم اللغة الفارسية.

دَخَلَ كُتَّابَ قرية «رانفور» الذي كان يُدرّسُ فيه الشيخ المولوي إبراهيم، والذي كان من قرية قريبة اسمها «غانغولي» (Ganguli) وقد عاشَ الشيخ إبراهيم حياته كلها في هذا الكتّاب، وكان رجلاً صالحًا كثير الخيرات قنوعًا ساذجًا متدينًا، مجتهداً في وظيفته، قد قرأ عليه الشيخ نور عالم وحتى أبوه بل وبعض من عاصر جدّه .

قرأ عليه الشيخ القرآن بالنظر ومبادئ اللغة الأردية والهندوسية، كما تَعَلّم منه الرياضيات، والخطّ والإملاء، وكان جيِّد الخط، يُدَرِّب الصبيان الخط على اللوحات الخشبية، شأن المعلمين في الكتاتيب في الهند، كذلك قرأ عليه كتبا في الدين والعقيدة، والأدعية المأثورة، وقرأ مبادئ اللغة الفارسية على الشيخ عطاء الحق في قرية «رانيفور».

ثم التحق عام ١٩٥٨م/ ١٣٧٨هـ بمدرسة «نورالهدىٰ» في قرية «بوكهريرا» (Pokhraira) وكانت على مبعدة كلو ميترين من قريته: «رانيفور»، فكان يغدو صباحًا إلى المدرسة يتعلم فيها سحابة النهار ويروح منهامساءً .

هذا إلى أنّه تعلّم سنةً واحدةً في المدرسة الابتدائية الرسمية بقرية «رانفور» وذلك عام ١٩٥٩م/ ١٣٧٩هـ، درسَ فيها كتبا في اللغة الأردية والهندوسية والرياضيات، غير أنّه لم يطب فيها نفسا، وكان فيها معلّمٌ يعطف ويحنو كثيرًا على الطلاب المسلمين. ولم يطل مقام الشيخ في المدرسة ففارقها بعد سنة واحدة.

عُنِيتْ جدته من الأب بتعليمه وتربيته كلَّ العناية، فطلبت من الشيخ أويس أحمد القاسمي الرانفوري – أحد المتخرجين من الجامعة الإسلامية دارالعلوم، ديوبند، والمدرس بالمدرسة الإمدادية بـ«دربنجا» بولاية «بيهار» – أن يُلحِقَ حفيدها «نورعالم» بمدرسته، فألحقه بها بعد إصرارها الطويل. ألحقه بقسم تحفيظ القرآن الكريم بالمدرسة الإمدادية، وذلك عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، فحفظ سبعة أجزاء من القرآن. ولم يتمكن من مواصلة سيره في التحفيظ لعدم توافر البيئة المواتية، وتثبيطٍ

من زملائه، فترك التحفيظ.

دخَلَ الصفَ السادس الابتدائي في المدرسة نفسها عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، وقرأ فيه «كلستان» و«بوستان» بالفارسية، كما تلقى دروسًا في اللغة الأردية والرياضيات.

صَحبَ الشيخ أويس أحمد في هذه المدرسة، وتعلَّم منه الشيء الكثير: تعلَّم منه الذوق والأدب، وكيف تُمَارَسُ الأعمالُ، وتؤتى البيوت من أبوابها؛ بل فنَّ معايشة الحياة.

ماتت جدته من الأب في آخر يوم من رمضان عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م في قرية «رانفور»، فصلى عليها النّاس يوم العيد، ودفنت فيها، وهكذا حُرِم صاحبنا اليتيم من الظلال الوارفة لجدته الحنون.

التحق بالصف الأول العربي بدارالعلوم في «منونات بنجن» بولاية أترابراديش عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، وقد أعانه في الالتحاق قريبٌ من خؤولته اسمه المنشئ ممتاز أحمد، وأضفى عليه عطفه وحنوه خلال تعلمه في هذه المدرسة.

طابت له الحياة في هذه المدرسة، ووَجَد من البيئة فيها ما شَجَّعَه على الجد والمثابرة، ومواصلة الليل بالنهار في سبيل العلم، فجَدَّ واجتَهَد وسَهرَ الليالي حتى ينالَ بغيته من العلم وطلبته من المعرفة. وربما كان لداته من أبناء قريته يغرونه باللهو واللعب فكان يقول لهم: «إن آباءكم أحياء يكفلون لكم لقمة العيش، ويضمنون لكم المستقبل، وأما أنا فليس لي سند يشدُّ أزري، ولاركن أوي إليه، فإن لم أجتهد يكون الكلب خيرًا مني».

يقول الشيخ عن اجتهاده وجدّه في سبيل العلم في هذه المدرسة: «إنه لحديث أمس أننا كنا صغارًا في النصف الأول من العقد الثاني من أعمارنا، نتعلم في المراحل الثانوية في مدرسة دارالعلوم بمدينة «منو» بولاية «أترابراديش» الشرقية، ونقرأ فيها الكتاب السعيد (تعليم المتعلم في طريق التعلم) على بعض الأساتذة الصّلحاء الذين كان معظمهم من الذين تخرجوا في الإحسان والتزكية على الشيخ الكبير وصي الله الفتح بوري، الإله آبادي المتوفى ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م: أحد أصحاب المربي الكبير العلامة أشرف علي التهانوي المتوفى ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م المعروف بـ«حكيم الأمة»، وكان هؤلاء الأساتذة من الصلاح والتقوى والزهد في الدنيا بحيث نستطيع أن نشهد بطهرهم وقداستهم حالفين بالله عزّ وجل، وكنا أيّامئذٍ أبرياء لم تخط أيدي الزمان على قلوبنا خطوطا معقدة متعرجة، يصعب محوها، وإثبات خطوط أخرى إيجابية مستقيمة نافعة مكانها، فببركة هؤلاء الأساتذة الصالحين المزكي القلوب، وفقنا الله عزّ وجلَّ أن نحب الكتاب، بل نعشقه ونسيغ محتوياته، ونأخذ بما فيه من الدروس، وننفذه على نفوسنا، وكنا نتناشد ما فيه من الأبيات، ولاسيما الأبيات التي تحرِّض على قلة المنام، وقلة الطعام، وقلة الكلام، والسهر في الليالي والناس ينام، ونعمل لحد مستطاع بما

تقول الأبيات، كأنها إنما تخاطبنا إيانا، ولا تخاطب غيرنا.

وقد شهدت الليالي أننا لم نذق النوم فيها عبر أربع سنوات إلا فيما بعد الساعة الثانية إلا أن تكون ليالي الخميس، فكنا ننام فيها ملء الجفون، فيما بعد صلاة العشاء لوقت أذان الفجر.

والحصاد الحلو الذي سعدنا به في حياتنا الدراسية وبعض ما كسبناه من الأهلية إنما يرجع الفضل إلى هذه الليالي المباركة في تلك السنين السعيدة، وبالتالي يرجع إلى هذا الكتاب الكريم «تعليم المتعلم في طريق التعلم» الذي جعلنا نشمّر عن ساق الجد، ونتوفر على الدراسة ونغتنم كل لحظة من لحظات الليل والنهار.

كما أنه كان الكتاب الوحيد الذي دربنا أستاذنا المعنيّ من خلاله على تكوين الجمل العربية، وتطبيق قواعد النحو والصرف في الألفاظ والجمل العربية، والنسج على منوالها، والسير في ضوئها. فما كسبناه من أهلية صياغة الجمل، وتكوين العبارات الخفيفة، وفهم التركيب والتشكيلات اللغوية، قبل أن نتوافد إلى الجامعة الإسلامية الأم دارالعلوم ديوبند، وقبل أن نتعلم العربية كلغة حية على معلم العربية الفريد الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي المتوفى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، إنما يرجع فيه الفضل كله إلى هذا الكتاب القيم أولاً وإلى مساعي أساتذتنا ثانيًا، وإلى توفيق الله تبارك وتعالى أولا وآخرًا»[١]

تعلّم في هذه المدرسة أربع سنوات، وكانت سنوات سعيدة في حياته، اجتهد فيها وسهر وجَدَّ حتى أهَّلَ نفسه للسير في المشوار العلمي في مستقبل الأيام. ومن أساتذته فيها المقرئ رياست علي البحري آبادي، والشيخ أمين الأدروي، والشيخ محمد المئوي، والشيخ نذير أحمد المئوي، والشيخ نياز أحمد الخيرآبادي، والشيخ سلطان أحمد المئوي، والشيخ رياض الحق المئوي، والشيخ عبد الحق الأعظمي أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند حاليًا، والمقرئ محمد يسين، والشيخ إسلام الدين المئوي.

التحق بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م في الصف الخامس العربي، وكان شديد الميل إلى اللغة العربية منذ أن كان طالبًا في مدرسة دارالعلوم مئو، وانضمَّ إلى «الصف الابتدائي لتعليم اللغة العربية» الذي كان يجري تحت إشراف الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي المتوفى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، والذي كان يُدَرِّسُ فيه فضيلة المفتي أبوالقاسم البنارسي طالب قسم الإفتاء آنذاك، ومدير الجامعة الإسلامية «ريوري تالاب بنارس» وعضو المجلس الاستشاري بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند حاليًا.

كما درس في الصف الثانوي ومقامات الحريري على الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي.

---

[١] مقدمة تعليم المتعلم في طريق التعلم ص : ٩، ١٠، ١١.

خلال دراسته بدارالعلوم ديوبند اتصلت أواصره بالشيخ وحيد الزمان، فقرأ عليه «مقامات الحريري» والصف الثانوي كما انضمّ إلى «النادي الأدبي» الذي كان أنشأه الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي لتدريب الطلاب على اللغة العربية كتابة وخطابة، وكانت تصدر من النادي مجلات جدارية إحداها مجلة «النهضة» الشهرية، وقد عيّنه الشيخ وحيد الزمان رئيس تحرير لمجلة «النهضة» التي تمرَّنَ خلالها على كتابة المقالات وتحسين الخط.

قرأ على أساتذة كثيرين في دارالعلوم ديوبند، غير أنَّ الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي بشخصيته الساحرة الجذابة ترك عليه أثرًا شاملاً بعيد المدى، إنه لم يُعلمه درس الكتاب، واللغة العربية فحسب، وإنما علّمه أساليب عيش الحياة، علّمه كيف يكتب، وكيف يحسن الخط، وكيف يتكلم، وكيف يقري الضيف، وكيف يعرف الإنسان، وكيف يعامل أحدا بالرحمة والإنسانية؟ لم يكن أستاذًا فقط، وإنما كان مربيًا مثاليًا، شيخًا خبيرًا وعارفًا بالزّمان كان يعلّم كيف يُصنَع الحالُ من الماضي، وكيف يصنع المستقبل من الحال. وكان يعرف من يتربى في ظله قيمته ورسالته في الأمم والحياة.

تعلّم خِلالَ إقامته بدارالعلوم ديوبند – بجانب الكتب الدراسية – من «مدرسة الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي» كثيرًا، تعلّم منها التجارب وأنماط الحياة، التي لها فضل كبير على مستقبله، إنه لم يقرأ في هذه «المدرسة» «كتاب العلم» فحسب وإنما قرأ «كتابَ الحياة» كذلك.

ويُقدّر مدى تأثُّره بالشيخ وحيد الزمان الكيرانوي مما كتب مقالا ضافيًا بعدما استأثرت به رحمة الله عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ونشره في مجلة الداعي (العدد: ١، السنة: ١٩ محرم ١٤١٦هـ/ يونيو١٩٩٥م) فقال:

عام ١٩٦٥-١٩٦٦م التحقنا بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند (أكبر وأقدم جامعة إسلامية أهلية في شبه القارة الهندية، والمعقل الإسلامي الحصين العريق في هذه الديار) وما إن دخلنا الجامعة لأداء العمليات الالتحاقية، حتى سمعنا ذكر الشيخ على لسان كل طالبٍ التحق بالجامعة فيما قبل العام التعليمي الجديد، يتحدث الطلاب عنه في لذة وحب وإعجاب وإخلاص، ويَعُدّون فضائله في التدريس، ومزاياه في التثقيف وبراعته وتفننه في التربية العامة... ويقولون داخلين في الحجرات السكنية وخارجين عنها، وحاضرين إلى الفصول الدراسية وآئبين منها، وخلال أحاديثهم وقت الفراغ والنزهة، والمناقشة بين الزملاء واللقاء مع الإخوان: مولانا يفعل كذا، مولانا قال اليوم في المحاضرة كذا، مولانا اليوم في السفر وليس موجودًا في الجامعة، ومولانا وضع برنامجًا آخر للنادي الأدبي، ومولانا سيلقي خطابًا هامًا بعد صلاة العشاء اليوم، ومولانا اليوم مصاب بالزكام مثلا، ومولانا سخط اليوم في الفصل الدراسي، على طالبٍ كان الزهد في الإصغاء للدرس باديًا على وجهه، وكان يتلاعب بثيابه، ومولانا خطب اليوم في موضوع كذا خطبة ساحرة، ظللنا مدهوشين منها.

وما تمكنا في ذلك العام التعليمي الأول الذي كان لنا فيه شرف الالتحاق بجامعة ديوبند من أن يكون لنا درس نظامي عند الشيخ؛ لأن جدول توزيع المواد الدراسية الذي أعدَّته الجامعة من ذي قبل قد منعنا من ذلك، ولكننا انضممنا إلى ركب «النادي الأدبي» الذي أسسه الشيخ عام ١٩٦٤م، والذي لم يكن جمعية لتدريب الطلاب على اللغة العربية خطابة وكتابة فحسب، وإنما كان مدرسة تربوية ثقافية جامعة داخل الجامعة، تُعلِّم الطلاب كل شيء يحتاجون إليه أيام التحصيل، وفي مستقبل أيامهم في المحيط غير الجامعي، والمجتمع غير الدراسي، تفتح آفاق عقولهم، وتوسع أنظارهم، وتبعث فيهم الطموح، وتشحذ عزيمتهم، وتشعل مواهبهم، وتهذب أفكارهم، وتُعلِّمهم سليقة عيش الحياة، والأدب، والاحترام للكبير والرحمة بالصغير، وتدربهم على التنظيم والإدارة، والاستضافة والقرى، والخدمة والاجتهاد، والصبر والأناة، والبر والمواساة، والعدل والمساواة، والإيثار وخدمة المرضى والمحتاجين، والتواضع، وإنكار الذات، والشعور بالمسؤولية، وأداء كل وظيفة في الميعاد، وسرعة الجندي ونشاطه، وانضباطه وانقياده، وتُشْعِرهم بمسؤوليتهم كطالب، ومكانتهم في الكون والحياة كمسلم فرد من الأمة التي أخرجت للنَّاس ولتقود وتسود وتمحو الظلم والظلام، من كل مكان في العالم البشري، وتُعَلِّمهم منهج وتمديد الرسالة، ومراعاة الحكمة والتدرج في ذلك. فصاروا كما قال أبو فراس الحمداني:

صنائع فاق صانعها ففاقت * وغرس طاب غارسها فطابا

وكنا كالسهام إذ أصابت * مرامِيها فرامِيها أصابا

في العام القادم ساقنا الحظ إلى الاتصال المباشر بالشيخ وأتاح لنا فرصة أكثر للاستفادة من علمه وتجاربه وفكره النير وحياته المترتبة في كل نواحيها، فقد كان عنده درس مقرر من قبل الجامعة في الكتاب الظريف «مقامات الحريري» بالإضافة إلى درس إضافي كنا نتلقاه منه في مادة اللغة العربية بعد صلاة المغرب»[٢]

مما لاشكّ فيه أنّ الشيخ وحيد الزمان كان معلمًا مثالاً، فريدًا في مواهبه، وقدراته، فريدًا في الإلقاء والتدريس، والخطابة والمشي والكلام وبل في جميع أنماط الحياة وأساليبها، فاستفاد منه كثيرًا، بل تخرّج عليه في «مدرسته التربوية»، فهو يبدي إعجابه بالشيخ وحيد الزمان الكيرانوي في موضع آخر من مقاله:

«درسنا على الشيخ هذه اللغة، فوجدنا فيه لتدريسها أهلية نستطيع أن نقول: إننا – ولا مؤاخذة ولا يحملن أحد ذلك على المبالغة – ما وجدناها في أي مدرس للغة العربية في المدارس والجامعات التي نعرفها، في داخل شبه القارة الهندية وخارجها، إننا لا نَدّعي أنّ الشيخ كان يفوق الجميع في

---

[٢] مجلة الداعي (العدد: ١، السنة ١٩/ محرم ١٤١٦هـ/ يونيو ١٩٩٥م) ص: ٦.

العلم والفضل والأدب، وسعة الدراسة، فإنا نعلم أنّ هنا في الهند بالذات من يفوقونه بدرجاتٍ كثيرة حتى في اللغة العربية وآدابها، ولكن الذي يميزه عن غيره كلَّ التمييز هو لباقته في العرض والشرح، وأهليته المدهشة حقًا، في سرعة نقل الأفكار والعواطف والمواد الدراسية إلى تلاميذه نقلاً موفقًا، وقدرته الفائقة على الإقناع والإفهام والإيضاح، وطريقته النبيلة الجديرة بالذكر في الدلالة على «أقصر طريق لأبعد منزل» الأمر الذي جعلنا جميعًا نقول دائمًا: إن الشيخ يستطيع أن يزود أحدًا أكثر مما عنده من العلم والمعلومات. وكثير من زملائنا الذين شرقوا في الأرض وغربوا وعدد منهم يشتغلون أساتذة في بعض الجامعات قد شهدوا بأنهم ما رأوا بأم أعينهم من يضارع الشيخ في المزايا المذكورة بالمجموع»[٣]

ومن أساتذته في دارالعلوم، ديوبند الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، والشيخ محمد حسين البهاري، المتوفى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، والشيخ معراج الحق الديوبندي المتوفى ١٤١٢هـ/١٩٩١م، والشيخ نصير أحمد خان حفظه الله، والشيخ فخرالحسن المراد آبادي (١٣٢٢هـ/١٩٩٢م – ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) والشيخ شريف الحسن الديوبندي المتوفى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، والشيخ قمر الدين الغوركفوري حفظه الله، والشيخ خورشيد أحمد الديوبندي حفظه الله، والشيخ محمد نعيم الديوبندي المتوفى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، والشيخ زبير أحمد الديوبندي المتوفى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، والشيخ بهاء الحسن المراد آبادي والشيخ حامد ميان المتوفى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

ذهَبَ إلى العاصمة دهلي عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ليقرأ كتب الحديث على الشيخ محمد ميان الديوبندي ثم الدهلوي (المتوفى ١٣٢١هـ/١٩٠٣م) تلميذ شيخ الإسلام حسين أحمد المدني والأمين العام لجمعية علماء الهند، وشيخ الحديث بالمدرسة الأمينية بدهلي، فقرأ عليه الحديث واستفاد منه في مجال الكتابة والتأليف باللغة الأردية.

وفي عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م مكث في دهلي يدرس كتب الأدب العربي دراسةً حرة، وكان يريد أن يلتحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فاستشار الشيخ محمد ميان في هذا الشأن، فكتب الشيخ خطاباً إلى الشيخ أبي الحسن علي الندوي ومعه طلب للالتحاق مكتوب بالعربية بخط الشيخ نورعالم، يطلب منه أن يكتب لصاحب الطلب خطابَ شفاعة في صدد الالتحاق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أعجبَ الشيخ أبوالحسن علي الندوي بخط النسخ الذي كتب فيه الطلب، أشد الإعجاب، فكتب له خطاب شفاعةٍ للالتحاق، غير أنه دعاه إلى دارالعلوم لندوة العلماء، لكناؤ، فامتطى صهوة الرحيل إلى لكناؤ، وذلك في أوائل صفر ١٣٩٢هـ/ أواخر فبراير ١٩٧٢م، وقابل الشيخ أبا الحسن علي

---

[٣] المصدر السابق ص: ٩.

الندوي في قريته، فوجده الشيخ شابًا مجتهدًا شغوفًا باللغة العربية حسن الخط، بارًا وافيًا، فأعجبه خلقه ومواهبُه فاستبقاه عنده ليعينه في أعمال التأليف والكتابة والإملاء، ويدرس هو كتب الأدب العربي.

بقي عند الشيخ أبي الحسن علي الندوي عدّة شهور، يعينه خلالها في أعمال التأليف، وقد أملى عليه الشيخ «السيرة النبوية» بكاملها كما أنه بيَّضه بخطه كذلك.

خدماته التدريسية:

في يوم من الأيّام صارح الشيخَ أبا الحسن علي الندوي بخلفياته وسوء أوضاعه الاقتصادية، كما استشار أستاذه الشيخ محمد ميان الديوبندي، فأمره أن يبقى لدى الشيخ الندوي ويصبر حتى يجعل الله له سبيلاً.

ففي ١٦ أو ١٧ من يونيو ١٩٧٢م/ ٤ من جمادى الأولى ١٣٩٢هـ عيَّنه الشيخ الندوي مدرسًا في دارالعلوم التابعة لندوة العلماء، على راتب قدره ١٠١ روبية. فبدأ يدرس الكتب إلى الصف الرابع ثمّ ترقى فدرّس في الصف السادس ديوان الحماسة. ومختارات من أدب العرب، وكان الطلاب يؤثرون أن يدرسوا عليه مادة الإنشاء لكونه تلميذ الشيخ وحيد الزمان، وأهليته الفريدة في التلقين والإلقاء والإفهام والإيضاح.

وخلال تدريسه بدارالعلوم التابعة لندوة العلماء، كان ينقل على صفحاتها إلى العربية كتبا لكبار العلماء في شبه القارة الهندية كالشيخ أبي الحسن علي الندوي، والشيخ منظور أحمد النعماني، والشيخ محمد تقي العثماني.

وكان شديد الإعجاب بفقيد اللغة العربية الشيخ محمد الحسني كثير الأنس به والحبّ له، كما تأثّر بأسلوبه في الكتابة والإنشاء كثيرًا، جمع مقالاته المنشورة في البعث الإسلامي في كتابٍ أسماه «الإسلام الممتحن» فطبعته دارالاعتصام، بالقاهرة.

وفي شوال ١٤٠٢هـ/ أغسطس ١٩٨٢م دعاه الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي إلى دارالعلوم، ديوبند ليرأس تحرير مجلة «الداعي» نصف الشهرية، ويكون أستاذا للأدب العربي بها، فبعد مشاوَات واستخارات لبّى دعوته، وبعد ماتمّ تعيينه مدرسًا للأدب العربي بدارالعلوم ديوبند، ورئيسًا لتحرير مجلة «الداعي» نصف الشهرية أصدر العدد الأول للمجلة، السنة٧، في ٧ محرم الحرام ١٤٠٣هـ= ٢٥/أكتوبر ١٩٨٢م .

وفي ١٤٠٣هـ شارك مع مجموعة من أساتذة دارالعلوم ندوة العلماء في الدورة القصيرة لثلاثة أشهر لتدريب معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها في الرياض، وهذه أول رحلة قام بها إلى المملكة العربية السعودية، وأقام بها ثلاثة أشهر، اختلط فيها بالناطقين بلغة الضاد، وسبر أغوار

الناس من الجالية الهندية والباكستانية وكسب تجارب جديدة في الناس والحياة.

فهو لايزال رئيسَ تحرير لمجلة «الداعي» الشهرية منذ أن تولى رئاسة تحريرها حتى الآن، يكتب فيها بشكل مستمر مقالات دعوية وإصلاحية واجتماعية، ويتناول قضايا الأمة الإسلامية بالتحليل، والانتقاد، وبفضل مقالاته نالت المجلة سمعة طيبة في الأوساط الأدبية والدعوية والإصلاحية في الهند وخارجها.

كما أنه لايفتأ أستاذًا للأدب العربي بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، منذ أن تولى منصب أستاذية الأدب فيها، وقد تخرّج عليه خلال هذه المدة آلاف من الطلاب، لاسيما مائة منهم بارعون في اللغة العربية.

كذلك شارك في كثير من المؤتمرات والندوات التي عُقِدَتْ في الهند وخارجها، وقدّم فيها بحوثاً ومقالات دعوية وفكرية، وثقافية، ومقالات في موضوع الأوضاع الراهنة.

أخلاقه وصفاته:

هو كريم الشمائل، دمث الأخلاق، محافظ على الوقت، يعمل كل عمل في ميعاده، صادق الوعد، ظريف الطبع، خفيف الروح، فكه المحاضرة، خفيف الظل، يخلط الجدّ بالهزل في مجالسه، حتى في الحصة الدراسية، كي لايملَّ الطلاب. شديد الحساسية بالفرح أو الترح، دائم الدعاء بالخير لمن أحسن إليه ولو فتيلاً، كثير الانفعال بالأذى، ضعيف الإرادة، كثير التشاور حتى في صغار الأمور، خبير بالناس والحياة.

مؤلفاته وكتبه المترجمة وبحوثه ومقالاته

الشيخ نور عالم خليل الأميني أحد الكتاب الإسلاميين الكبار، ومن المؤلفين المشهورين باللغة العربية، وهو يحب اللغة العربية وأهلها حبًّا جمًّا، ويعتز عند الكتابة بها اعتزازا بالغًا، ويبغض من يحاربها أشدَّ البغض ويتابع أوضاع وقضايا العالمين العربي والإسلامي، ويواصل قراءة كتاب العرب وعلمائهم وأدبائهم وشعرائهم، ولايزال يثري المكتبة الإسلامية بثرائه الفكري والأدبي.

إنه ألف رأسًا باللغة العربية سبعة كتب، كما ترجم من الأردية إلى العربية نحو ٢٥ كتابًا لكبار الكتاب والعلماء والمفكرين في شبه القارة الهندية، أمثال: سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي رحمه الله، وفضيلة الشيخ محمد منظور النعماني الهندي رحمه الله، وفضيلة الشيخ محمد تقي العثماني الباكستاني حفظه الله، والشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ المقرئ محمد طيب الديوبندي رحمهم الله.

كما كتب مئات من المقالات والبحوث في شتى المواضيع الإسلامية والأدبية، نشرتها كل من مجلة «الداعي» و«البعث الإسلامي» و«الرائد» بالهند، ومجلة «الدعوة» الرياضية، ومجلة «الفيصل» ومجلة «الحرس الوطني» السعوديتان.

وأما مؤلفاته بالأردية فقد بلغ عددها ستة كتب، بالإضافة إلى المقالات والبحوث التي نشرتها المجلات والجرائد والصحف باللغة الأردية في الهند.

أذكر هنا أهم مؤلفاته باللغة العربية والكتب المترجمة إليها، فقد بلغ عدد جميع مؤلفاته إلى أكثر من اثنين وعشرين كتابًا. وفيما يلي أذكر أسماء مؤلفاته، وأعرِّف بها تعريفًا موجزًا.

١- الصحابة ومكانتهم في الإسلام:

نشرت هذا الكتابَ دارُ الصحوة للنشر بالقاهرة عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ويقع في ١٨٠ صفحة، بالقطع المتوسط.

وسبب تأليف هذا الكتاب أنه قد حدثت ثورة في إيران قادها المدعو آية الله روح الخميني، وسماها «ثورة إسلامية» وقد تأثر بها الشباب المسلم من أهل السنة والجماعة بالإضافة إلى شباب الشيعة، غاية التأثر، غير أنهم لم يدركوا حقيقة هذه الثورة وأبعادها. وكانت هذه الثورة مؤسسة على

معتقدات الشيعة المعادية للإسلام من تحريف القرآن، وعصمة الأئمة والقدح في الصحابة والطعن فيهم، فأراد الشيخ نور عالم أن يؤلف كتابًا في موضوع الصحابة ويوضح مكانتهم في الإسلام وعند الأمة الإسلامية. كما يكشف الستار عن حقيقة الثورة الإيرانية.

يقول الشيخ في مقدمة الكتاب:

«منذ زمن الصحابة وعلى عهد الخلفاء نشأت طائفة خانها التوفيق وأغواها الشيطان، فتناولتها – جماعة الصحابة – بطعنها وقدحها، ووجهت إليهم كلَّ التهم، وتنكرت لصنيعهم، وجازتهم بالإحسان سوءًا، وظلت هذه الطائفة عبر التأريخ الإسلامي تبيض وتفرخ وتعشش، فصارت كثيرة السواد، وتوزعت بين فرق لاتعد، غير أنّ الأمة الإسلامية حسبتها نفاية وخواءً أو ثمالة لايعتد بها ولا يلتفت إليها . وظلت هي بمعتقداتها المتصادمة مع العقائد الإسلامية الصحيحة وصميم تعاليم الإسلام، منعزلة عن سواد الأمة الإسلامية وجمهور أبناء الإسلام، وظلت – ولله الحمد – موضع التهم والرزاية من الأمة الإسلامية، ومعروفة بعدائها للصحابة»[٤]

ثم يقول:

«بينما كان الحال على هذا المنوال قامت في الآونة الأخيرة، ثورة إيران على يد المدعو آية الله روح الخميني الذي زعم أنه نائب إمام الشيعة الثاني عشر الغائب، والذي نجح لعوامل سياسية واجتماعية اختمرت وتفاعلت، يطول ذكرها، في القضاء على إمبراطورية الشاه محمد رضا بهلوي، وتفشيل أمريكا في بعض الخطط، وأطلق تحديات للمعسكر الغربي، وتهديدات كذلك للمعسكر الشرقي، فأعجب به الشباب الإسلامي المتحمس حتى من غير الشيعة الإمامية، التي يقودها الخميني الآن، وتلقب الثورة الإيرانية «ثورة إسلامية» كما دعاها الخميني ورجاله والأوساط الشيعية»[٥]

ورغم إعلان الخميني في كتبه الفارسية والعربية بتلك المعتقدات المتصادمة، مع الإسلام على طول الخط وعرضه، والأفكار المسمومة ضدَّ الصحابة رضي الله عنهم، وفيما يتعلق بتحريف القرآن وعقيدته في الإمامة التي تفوق عنده وعند أبناء دينه الشيعة الإمامية النبوة، فقد أيّده، ولاسيما في الشرق الإسلامي، وفي شبه القارة الهندية بالذات، كثير من الجهات الإسلامية السنية – ولا أقول الشيعية؛ لأنها إذا أيّدت كان ذلك طبيعيًا؛ لأنَّ الشيء من معدنه لايستغرب – التي تعمل في مجال الخدمة الإسلامية، ووضعت كلَّ ثقلها الديني والاجتماعي الذي كسبته، ولاسيما في أوساط الشباب الإسلامي الطموح، الذي استماله هتاف «الحكم الإسلامي» و«الحكومة الإسلامية» وضعت ثقلها في تأئيد الثورة الإيرانية عبر كتبها وكتاباتها، وصحافتها وألسنتها.. مما أسكر الشباب الإسلامي بحيث لايسمع كلمة نقد أو تعليق أو ملاحظة – فضلاً عن كلمة جرح وتشريح – فيما يتعلق بالخميني

---

[٤] الصحابة ومكانتهم في الإسلام ص: ٤.
[٥] الصحابة ومكانتهم في الإسلام ص:٥.

وثورته الشعبية»[٦]

كلُّ ذلك حملَ الشيخ على أن يؤلف هذا الكتاب القيم، ويحفز الشباب الإسلامي إلى الإيمان من جديد بفضل الصحابة ومكانتهم في الدين، ويؤكد أن إيمان المرء لايتم إلا بحبهم، وأن القلب الذي يتعكر ببغضهم يضعف رباطه بالدين. وأن الشريعة كلها من القرآن والسنة والآثار تعود مشكوكاً فيها.

* * *

٢- مجتمعاتنا المعاصرة والطريق إلى الإسلام:

هذا الكتاب يقع في ١٣٨ صفحة بالقطع المتوسط، ويشتمل على ٣٠ موضوعًا. وقد نشرته دار الصحوة بالقاهرة، مصر. وهذه المضوعات كلها تَتَجَهُ إلى جهة واحدة، وتنصبُّ في مصبٍّ واحدٍ، وهو أن يكون المجتمع المعاصر خاليا من المعايب والأدواء وأن يكون أفراده متصفين بالصفات الخلقية والقيم الإسلامية. وقد تناول هذا الموضوع المهم الخطير خلال الكتاب بأساليب متنوعة. فطورًا يستعرض ما يعيش الإنسان المعاصر من القلق النفسي والاضطراب الفكري والحيرة المردية والضيق والانقباض؛ فيشخص الداء ثم يصف الدواء، فيقول:

«ألق نظرةً على إنسان تلك المجتمعات تركيف أن الكبت قد استولى على عقله، والاضطراب قد تغلب على فكره، والتعاسة والتشاؤم صار نصيبه من الحياة، وقد أمسى يتيه في بيداء الشذوذ الفكري، وأضحى أشبه شيء بالريشة في مهب الريح في فلاة، يعيش كئيب البال، كدر الحال، متضايق النفس، لايهدأ قلبه، ولايطمئن عقله ولا تستقر نفسه»[٧]

ثم يصف له العلاج والدواء في أسلوب المؤمن الداعي إلى الله الواثق بأنَّ الإسلام هو منقذ المجتمع الإنساني وأفراده من ورطة الهلاك، فيقول:

«إنّ العلاج الوحيد هو الإسلام بعقيدته الصحيحة الصافية الحيّة الراسخة في عمق القلب، المتحكمة في العقل والفكر، الضابطة لكل ما يصدر من الجوارح والأعضاء من حركات وسكنات .

ذلك الإسلام الذي لايعرف الكبت، ولا التطرف ولا الرهبانية، ولا يترك لأي من مقتضيات العقل أو القلب أن ينمو بعضها على حساب البعض، لأن تقدير العزيز العليم الذي خلق الإنسان، وسخّر له الكون الهائل من حوله، فيعلم ما يحتاج إليه الإنسان ومالا يحتاج إليه» [٨]

وقد يتبرم صاحبُنا بالمجتمع المعاصر الذي يعيش فيه، لأنه يشاهد أفراده يلهثون وراء المال،

---

[٦] نفس المصدر ص: ٥.
[٧] مجتمعاتنا المعاصرة والطريق إلى الإسلام ص: ٧.
[٨] المصدر السابق ص: ١٠.

ويتهالكون على المادة، ويُعْنَون بأسباب الزينة والجمال، والتظاهر الكاذب، فيعرض صورةً للمجتمع الإسلامي الأول الذي بناه الرسول ﷺ وأصحابه الأكرمون، حيث يقول:

«كان من مزايا المجتمع الذي أوجده سيدنا محمد ﷺ : عدم الجشع، وعدم الاستعباد بالمال والتهالك على المادة، وعدم العناية بالمعدة النهمة، التى لايشبعها كل ما يوجد في الدنيا؛ وكان من مزاياه القناعة بالقليل والبساطة في المأكل والملبس. أما التكاثر والتفاخر والعناية بأسباب الزينة والجمال، والتظاهر الكاذب، فكان قاموس هذا المجتمع خاليًا من هذه المعاني!!» (٩)

* * *

٣- الدعوة الإسلامية بين دروس الأمس وتحديات اليوم:

هذا كتاب وجيز يحتوي على ١٠٠ صفحة، نشرته رابطة الجامعات الإسلامية في مدينة «فاس» بالمغرب. والكتاب في الحقيقة مجموعة بحوثٍ ومقالاتٍ تتصل بالجوانب المختلفة لقضية الدعوة الإسلامية بين اليوم والأمس، وتتميز بالإخلاص الشديد، والرؤية الواعية والمعايشة الواقعية لمشكلات الدعوة. وقال الدكتور عبد الحليم عويس في تقديمه للكتاب:

«عُرفَ الكاتب ببيانه العربي المشرق، مع أنه ولد وعاش وتربى – ومازال يعيش أطال الله عمره – فى شبه القارة الهندية» (١٠)

قد عالج الكاتب الغيور فيه قضية الدعوة الإسلامية بنواحيها المختلفة، مثلاً كيف كانت فكرة الدعوة عند السلف الصالح وأساليبهم في ممارستها، وكيف كان الدعاة في سالف الأيام، وماهي التغييرات التي طرأت على الدعوة والدعاة في هذه الأيام. فهو يقول:

«من أدواء العصر الحديث التي أصابت الكيان الإسلامي، وألحقت أضرارًا فادحة بالدعوة الإسلامية، الحزبية والمحدودية في دائرة جماعة أو منظمة أو نطاق عملي قاصر على دائرة تفكير خاصة، الأمر الذي مني به حتى العاملون في حقل الدعوة ومد الرسالة، والذي حدَّ كثيرًا من الانطلاقة العامة وسعة الأفق .

لا بأس أن يخصص المرء دائرة من دوائر العمل التي يوظف فيها مؤهلاته العلمية والفكرية وقدراته العملية لتأتي بحاصل كبير ولتكون نشاطاته أكثر نفعًا، وليكون هو أقدر على الإنتاج، لأن الشمولية العملية تحدث تفاهة في العمل، وتحول دون الإجادة المتوخاة» (١١)

---

(٩) المصدر السابق ص ٢٣.

(١٠) مقدمة الدعوة الإسلامية بين دروس الأمس وتحديات اليوم ص ٦.

(١١) المصدر السابق ص: ١٠.

هو يدرس أحوال الداعية اليوم وشؤونه، فيقول مصارحاً: إنَّ الداعية اليوم يعوزه سلاح مهم، فهو يخوض المعركة بدون سلاح، فيبوء بالهزيمة. وهو الإخلاص ، حيث يقول:

«إذا تساءلنا: ماهي الجوهرة التي يفقدها الداعية اليوم؟ وما هو السلاح الحقيقي الذي حرمه، فتخونه الانتصارات، رغم الأسلحة والعدة، من فصاحة اللسان ونصاعة البيان، وروعة الكلام، وإجادة الكتابة، وإتقان فن تحريك القلم، ووسائل الإعلام، وإمكانات إقامة الاتصالات والوسائط المادية، ونباهة الذكر، ولمعان الشخصية، وما إلى ذلك!

إذا تساءلنا عن ذلك، كان الجواب: إنه الإخلاص الذي عزَّ وجوده في الدعاة، أفرادًا وجماعات، اليوم، فإذا ألقيت نظرة على الأفراد والجماعات التي تعمل في مجال الدعوة، وجدت أنها لاتهمها الدعوة والتبليغ وإنقاذ البشرية مما تعاني من الشقاء والعذاب، بمثل ما تهمها المصالح والأغراض الشخصية أو الجماعية، وسيادة الشخصية، وتضخمها، والرغبة في الشهرة، وتأكيد عظمة الذات، وإعلان كونها داعية إلى الله، وإعلام الناس بمؤهلاتهم الثقافية والفكرية وتكثير الأعوان والأنصار، إنّ ذلك كله هو الشيء الذي يستنفد جهد القائمين في حقول الدعوة والتبليغ، ويشغل همهم، أكثر من العناية بنشر الدعوة وتمديد الرسالة» ([١٢])

ثم يلفت صاحبنا الكاتب عنان قلمه إلى قضايا الشباب وموقف الدعاة منها، فيشرح أهمية الشباب ودوره الذي يستطيع أن يقوم به في مضمار الحياة، فيقول:

«الشباب يمتاز بالحماس والطموح والتطلع والتهور وروح التغيير وقابلية التغير، والرغبة في الجديد المستحدث، والانصراف عن القديم غير المقنع، والنشاط والحيوية والانتعاش، وأهلية العمل الدائب والجهد المستمر، والبحث عن بيئة جديدة...

الشباب تستهويه البطولة وروح المغامرة والإيثار والتضحية والإخلاص والاحتساب، ويعجبون أيما إعجاب بمن يتصف بهذه الصفات، ويستطيع أن يفدي بمهجه وأرواحه – على أدنى إشارة منه – في سبيل تحقيق مبدأ، وتمديد دعوة وتعميم رسالة، وإزالة ضباب تراكم في طريقها.. وبالمقابل يرفض ثقته، بل يرفض الاستماع لرجل دين ودعوة يرغب في الدنيا، ويبذل همه في الحصول على قدر ممكن من حطامها، كأنه هو همه الوحيد، مهما كان على جانب واسع من العلم والمعرفة والاطلاع وأهلية الكتابة والخطابة، ومهما كان لسانه رطبًا بذكر الإسلام والتغني بمجده وعظمته.. وإنما ينقاد الشباب لداعية يرى فيه الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وروح الإيثار والبطولة»([١٣])

ثم استعرض الكاتب المشكلات التي يواجهها الشباب في هذا العصر، وقدم حلولاً ناجعة لها،

([١٢]) المصدر السابق ص: ٢١، ٢٢.
([١٣]) المصدر السابق ص: ٥٣-٥٤.

حيث قال:

١- اضطراب العقيدة والأهداف وعدم الانتماء إلى غايات محددة، ومآرب منشودة ورسالة يؤمنون بها ويتحمسون لها ويعملون في سبيلها، إحدى المشكلات التي عانى منها الشباب المسلم في جل أقطار العالم الإسلامي، الذنب يرجع في ذلك إلى الحكومات الإسلامية التي وقفت من العقيدة والهدف والغاية موقف المعاند وحاربتها في أكثر الأحايين بصورة عديدة، وبالتالي يرجع إلى الجامعات ومعاهد التعليم والتربية في البلاد الإسلامية، ولذلك فقد يتخرج الشباب من الجامعات بشهادات رفيعة دون انتماء وتحمس لعقيدة ودعوة ورسالة وغاية.

٢- ومن المشكلات التي تفسد الشباب وتدمر كيانه الجسمي والعقلي والروحي والفكري، تلك الكتب الماجنة من روايات وقصص وتمثيلات ومسرحيات تهدهد العواطف والغرائز الجنسية من خلال مشاهد الغرام والحب غير الشرعي، واللقاء الحرام والاختلاط الحر، يقع عليها الشباب وقوع الجائع المتعطش على الطعام والشراب، وكذلك الكتابات ذات الأفكار والآراء الهدامة والفلسفات والنظريات الشاذه المضلة المعاكسة للإسلام..

٣- وكذلك الأفكار الماجنة التي تغزو البيت والمجتمع عن طريق السينما والتلفاز، والفيديو والمسرحيات والتمثيليات التي تقدم على التلفاز والإذاعة على السواء والتي تمثل التقبيل، والتماس بين الفتيان والفتيات بصورة حرة، وتمثل جميع الحركات والأعمال التي يمكن أن تتم بين الجنسين من تبادل الكلام والضحكات حتى الالتقاء العلني، مما يدعو الإنسانية أن يتندى له جبين حيائها.

والمشكلة الكبرى التي تورط الشباب في حيرة مردية وفي صراع فكري عنيف مرير يلازمه كل لحظة وفي كل مكان، هو التناقض العجيب بين الموروث من التعاليم الإسلامية والقيم الحياتية؛ لأنه مسلم ولد في بيت إسلامي وفي أسرة إسلامية، وبين ما يعيشه في واقع حياته من الخليط المضطرب عبر البيت والمدرسة والمجتمع ومعاهد التعليم والتربية» ([١٤])

قدّم الشيخ حلولاً لهذه المشكلات كداعية إسلامي فيقول:

«ولمقاومة هذه التناقضات يرى الدعاة والمفكرون أنه لابدّ من ثورة إصلاحية، ثقافية تعليمية شاملة وذكية يقوم بها أناس عندهم الأصالة الفكرية والعلم الواسع والاطلاع الغزير والنظرة الصحيحة الدقيقة، تتبناها الدول والحكومات، وأن ترغم أجهزة التوجيه كلها: الصحافة والإذاعة والتلفاز والتعليم والتربية، على تصحيح مسارها بتصحيح المفهومات المغلوطة في الفكر والثقافة والفن، وإعطاء القدرة الصالحة من الكبار آباء وأمهات ومربين ورجال حكم وقادة، ودعاة ومفكرين

([١٤]) المصدر السابق ص: ٥٦-٥٩.

والحاجة شديدة إلى أن يقف الكبار والشيوخ ورجال الدين والعاملون في مجال الاصلاح والدعوة والقيادة والتوجيه من الشباب موقفًا يقنعه ويكسبه الثقة بهم أولاً، وبالدعوة والرسالة التي يدعون إليها» ([١٥])

* * *

٤- المسلمون في الهند بين خدعة الديمقراطية وأكذوبة العلمانية:

هذا الكتاب يحتوي على أكثر من مائة صفحة، وقد نشرته دارالصحوة بالقاهرة، مصر. وقد كتب المؤلف فيه مقالات تتعلق بقضايا مسلمي الهند كما يبدو من اسمه، ودور المدارس الإسلامية في الحفاظ على الإسلام فيها، كما تعرَّض للاضطرابات الطائفية التي يواجهها المسلمون في الهند، بين حين لآخر، ولموقف الحكومة الهندية منهم، وسلوك الهندوس معهم، كلُّ ذلك جاء في أسلوب مشرق وبيان ناصع. وفيما يلي أقدم مقتبسات من الكتاب حتى يتجلى شأن الكتاب وأهميته:

يقول الكاتب عن المحن التي يعاني منها المسلمون :

«يبدو أنَّ المسلمين في الهند كتب لهم أن لايتخلصوا من محنة إلا ويتورطوا في محنة بل محن أشد منها.. كانت النار التي يشعلها المواطنون دائمًا في مدينة أو قرية في أرجاء البلد ليحصدوا من خلالها أرواح إخوانهم المسلمين وممتلكاتهم والتي يطلق عليها اسم «الإضطراب الطائفي» هذا الاسم الذي لايعبر عن طبيعتها وحقيقتها تعبيرًا صادقًا، كانت تلك النار للمسلمين كوجبتي الغذاء والعشاء اللتين من اللازم أن يتناولهما المسلم لكي يعيش !!

ثم جاء دور النيل من كرامة الإسلام والإساءة إلى نبيه عليه السلام في الصحف والمجلات في الكتب والمؤلفات الدراسية وغير الدراسية، واكبه الهجوم على القانون العائلي للإسلام والأحوال الشخصية، ومحاربة اللغة الأردية التي اختارها المسلمون كوعاء للثقافة والعلوم الإسلامية في هذه الديار» ([١٦])

كذلك ذكر الكاتب أن الاضطرابات الطائفية والاشتباكات الدامية بين الهندوس والمسلمين صارت شيئًا طبيعيًا يمارسه الشعب الهندي كالماء والهواء أو داء مستشريا لاينفع فيه دواء، فلا ينطفئ حريقها في مكان إلا ليقع في مدينة أخرى، وغالبا ما يمتد لهيبه إلى الأمكنة المجاورة وينتشر في مساحة واسعة انتشار النار في الهشيم .

عاد الشعب المسلم الهندي يعيش دائمًا وفي طول البلاد وعرضها وضعًا مخيفًا قلقا، لايدري متى يقع حريق الاضطراب والصدام بينه وبين إخوانه المواطنين من الهندوس، فيأتي على اليابس

([١٥]) المصدر السابق ص: ٦٣-٦٤.
([١٦]) المسلمون في الهند بين خدعة الديمقراطية وأكذوبة العلمانية ص: ٩

والأخضر من كل ما عنده من مال وعرض وبيت يؤويه، ودكان يتكسب به، ويبيد في لحظة واحدة ما جمعه في سنين وأعوام.

كانت مناطق الشمال – التي تلاصق المناطق التي قامت فيها دولة باكستان – وبعض مناطق الجنوب التي كانت تحت إمارة «حيدر آباد» هي مسرح الصدام بين الهندوس والمسلمين، والمناطق الأخرى كانت إلى حد كبير في مأمنٍ منها، ثم أضحت بعض مناطق «بيهار» في شرقي الهند مسرح الاضطراب الطائفي، وصارت ذات حساسية زائدة، تشتعل فيها فتيلة الصدام بين طائفتين بأدنى مسة، وبسبب أن المواطنين الهندوس في تلك المناطق يبدو أن طينتهم قد عُجِنَتْ بغلظة وحساسية دينية أكثر، مع سرعة الغضب، والثورة وضيق الأفق، نلمس ذلك في كثير مُن مواقفهم في الحياة المختلفة؛ لهذا تكررت الصدامات بين الهندوس والمسلمين في «جمشيد بور» وفي مناطق «سيتامرهي» و«رانتشي» و«هزاري باغ» و«كيا» و«بورنيا» وأخيرًا في «بيهار شريف».

يقول الشيخ معلقا على هذه الاضطرابات:

«المدن والقرى التي عانت منها تعد بآلاف فقد لايمضي في البلاد يوم لايقع فيه اضطراب، حتى أصبحت الاضطرابات والاشتباكات تستنفد الكثير من جهود الحكومة، وإمكانياتها، وقدراتها بجانب إضاعة الطاقات البشرية والكفاءات والأهليات، التي لو استغلت في الإيجابيات، لأتت بكثير مما ينفع ويساعد على تقدم البلاد ونموها» ([١٧])

ثم يتحدث عن لغة المسلمين في الهند وهي الأردية، وما يهددها من الأخطار من قبل الهندوس الذين يزعمون أنها دخيلة على البلاد وليست أصلية، جاء بها الفاتحون المسلمون من بلادهم، يندِّد الشيخ بهذه الفكرة تنديدًا شديدًا فيقول:

«إنها (الأردية) على هذه الأرض نبتت، وفيها نشأت، وفي حضنها ترعرعت، ومن تربة مجتمعها استمدت غذاءها، فبسقت، وتفرعت، والدارسون لتاريخها يؤكدون أنها صورة متطورة من اللغة الهندوكية، وأن تاريخ نشوئها يرجع إلى أكثر من ثمانية قرون ... وأنها صارت إلى ما هي عليه الآن، بما انصب في قناتها، من اللغات الفارسية والعربية والتركية والإنجليزية والفرنسية وكثير من اللغات المحلية وغير المحلية» ([١٨])

وأخيرًا يعبِّر الشيخ عن أمله وتفاؤله نحو اللغة الأردية فيقول:

«ورغم هذا العداء الصارخ للأردية، ومحاربتها على شتى الجهات ومحاولات إقصائها عن مجالات الحياة، ظلت تقطع أشواطها الحثيثة نحو التقدم والازدهار والانتشار بصورة منقطعةالنظير... ومع الأيام تتوسع رقعة الناطقين بها ونطاق المستخدمين لغة ثقافة وعلم وأدب،

([١٧]) المصدر السابق ص: ١٧.
([١٨]) المصدر السابق ص : ٣٧.

وفرضت وجودها على الإنسانى وستبقى حيَّة متقدمة منتشرة أكثر من ذي قبل رغم كره الكارهين.. لأنها تفيض بالحياة، ولأنها تتمتع بصلاحية المسايرة لمتطلبات الحياة، ولأنها تستطيع أن تكون وعاء الثقافات والأفكار والعلوم والآداب» ([١٩])

ثم يطوف الشيخ بالقارئ على المدارس الإسلامية التى أنشأها العلماء الربانيون في الهند حفاظاً على العلوم الإسلامية والثقافة الإسلامية في هذه البلاد، والتي أصبحت بديلاً حسنًا للحكومة الإسلامية التي طوى الاستعمار الإنجليزي بساطها فى شبه القارة الهندية، فيسرد له دورها وخدماتها في تربية الجيل المسلم، والحفاظ على الكيان الإسلامي رغم العواصف الهوجاء والظروف غير المواتية. فيقول للقارئ:

«ولو أتيح لك أن تزور هذه المدارس والجامعات في شهر شوال لرأيت منظرًا خلابًا فريدًا فى الشكل والمعنى، لرأيت جنباتها خاصة بطلاب العلوم القاصدين من أنحاء البلاد، طلاب سيماهم البساطة في المأكل والملبس، تحدوهم الرغبة في التزود من العلوم الإسلامية، والتربية الدينية، وخدمة الدعوة الإسلامية، لا الرغبة في منصب حكومي أو جاه رسمى أو كسب مادي؛ لأن شهاداتها غير مقبولة لدى الحكومة ومدارسها وجامعاتها، ولأنّ خريجيها لا أمل لهم في المكاسب المادية العريضة أو المناصب الحكومية التي قد تدر رزقًا واسعًا، وعيشًا رغيدًا، والتي تتحلب لها الأفواه وتتلمظ لها الشفاه» ([٢٠])

ثم يقول عن معنى «المدرسة» عندنا في الهند:

«... إن المدرسة إذا كانت تعني في بلد ما مؤسسة تعليمية تلقن العلم والمعرفة فحسب، وتزود الطلاب بالمعلومات الدينية وحدها فإنها في شبه القارة الهندية أعمق وأوسع وأشمل وأدق، إنها تعني تلك الأهداف السامية التى أشرنا إليها آنفًا، إنها بمثابة آلة تنفخ الحياة في كيان المسلمين الديني، إنها وسيلة وحيدة لإبقاء المسلمين على الإسلام في هذه الديار، إن المسلمين هنا يحتاجون إليها احتياج الجائع إلى الغذاء والمريض إلى الدواء، والعريان إلى الكساء؛ بل السمك إلى الماء» ([٢١])

* * *

٥ - مأساة شاب هندوسي اعتنق الإسلام:

هذا كتاب بالأردية ألفه المسلم الحديث العهد بالإسلام المعروف بـ«غازي أحمد» وحكى فيه قصة رحلته إلى الإسلام، وما لاقي فيها من متاعب ومصاعب على يد أبيه وأفراد أسرته. ولكنه تحمّل كل ذلك بصبر وثبات، وصمد في عواصف الكفر وطوفان الشرك صمود الجبال الرسيات.

([١٩]) لمصدر الساق ص ٤٥
([٢٠]) المصدر السابق ص ٦٥.
([٢١]) المصدر السابق ص ٧٢-٧٣

هذه قصة من قصص الصراع بين الكفر والإيمان.. وهذه القصة تدحض الآراء التي تقول إنَّ العلمانية فيها أيَّ جانب من جوانب الخير، فالحقيقة أنَّ العلمانية خرافة يمتد فيها الباطل، وينكمش فيها الحق.. وهي ستار لمقاومة الإسلام ولتحذير أبنائه.

وقد أعجب صاحبنا الكاتب الإسلامي بهذه القصة ذات العبرة أشدَّ الإعجاب، وقرأها مرة بعد أخرى يلتذ بها ويعتبر بما فيها من عبرة ومتعة وصمود في وجه الكفر، واعتزاز بالإيمان. ثم أراد أن ينقلها إلى العربية ليقرءها إخواننا العرب في العالم العربي.

وفعلاً نقلها إلى العربية، ونشرتها دار الصحوة باسم «مأساة شاب هندوسي اعتنق الإسلام» حتى يعرف قراء العربية كيف عانى شابٌ انضمّ تحت راية الإسلام، وحقيقة دعوى الحرية الدينية في العلمانية، إن الفتى الهندوسي البالغ «كرشن لال» قد ذاق الاضطهاد والنكال من الهيئات والأفراد الهندوسية لمجرد أنه قرر أن يقلع من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان.. وقد كان عليه أن يتحمل الإهانة والقطيعة ودخول المحاكم والضربِ والإيذاء والسجن والاعتقال.. أو يرتد إلى الهندوسية .

وقد رضي أن يدفع ثمن إيمانه، حتى وإن كان باهظاً كلفه الكثير.. لكن الجنة – على أية حال – تستحق هذا الثمن وأكثر ..

هذه القصة عبارة عن صراع مرير بين (كرشن لال) الذي هداه للإسلام وبين أسرته وقريته وقضاة المحاكم الذين تواطئوا على الظلم وتجاهل حقوق الإنسان، ليحولوا دون بقاء الفتى (كرشن لال) في الصف الإسلامي .

وقد انتهت القصة بانتصار الإيمان بعد صمود رائع من بطلها الذي أصبح اسمه بعدُ « غازي أحمد».

يقول الشيخ:

«يقرأ القارئ العربي هذه القصة التي قرأناها في الأردية غير مرة، في لذة لاتقل في كل منها عن لذة المرة السابقة، وكلما بدأنا قراءتها لم ندعها دون أن ننتهي من قراءتها لآخر سطر، لأنّ فيها لذة الروح والقلب» ([٢٢])

ثم إنَّ المدعو « غازي أحمد» بعد الإسلام، دخلَ حظيرة الإسلام بعد معاناة شديدة طويلة، وحسن إسلامه، وتعلّم العلوم الإسلامية في المدارس الإسلامية، وسعد بالحج، وزيارة المدينة، وظلّ يقوم بخدمة الإسلام طول حياته.

وكان من أمانيه الكبيرة أن يرى المسلمين متحدين متضامنين تحت راية واحدة، وأن يواجهو

([٢٢]) مأساة شاب هندوسي اعتنق الإسلام ص: ١٤.

أعداء الإسلام متراصين كبنيان مرصوص، لأن تعاليم الكتاب والسنة توجب عليهم أن يكونو كأعضاء جسدٍ واحد إذاشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّىٰ .

* * *

٦- لآلي منثورة في التعبيرات الحكيمة عن قضايا الدين والأخلاق والاجتماع :

هذا الكتاب مجموعة أحاديث مجالس الشيخ الكبير حكيم الأمة أشرف علي التهانوي – رحمه الله – المتوفي (١٣٢٢هـ/١٩٤٢م) أحد كبار مشايخ الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند.

وقد نقلها من الأردية إلى العربية الكاتب الإسلامي الشيخ نور عالم خليل الأميني في صفحات مجلة «الداعي» الصادرة من الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند في حلقات متتالية .

وهذا الكتاب يقع في نحو ٢٩٠ صفحة بالقطع المتوسط، ونشرته أكاديمية شيخ الهند التابعة لدارالعلوم عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

ولاشك أن أحاديث مجالس الشيخ أشرف علي التهانوي تقع في آلاف من الصفحات، تتضمن درر المعاني وغرر الحكم، وأعلاق المقالات والآراء، بالإضافة إلى إيضاح كثير من الأمور الدينية، وجلاء الحقائق الإسلامية، وعرض محاسن الدين.

ولم يكن من الميسور نقل جميع أحاديث المجالس إلى اللغة العربية أو إلى أي لغة أخرى؛ لأنّ ذلك يقتضى زمنا طويلاً ومالاً وفيرًا، غير أن الشيخ نور عالم انتقى وانتخب من أحاديث المجالس قدرًا لابأس به، ونقله إلى العربية، حتى يستفيد منها قراء العربية كذلك .

أما ما يتناول هذا الكتاب فهو مواضيع شتى تتعلق بالدين والدنيا، والإيمان واليقين، والحكم والنوادر، والقصص والطرائف، والإجابة عن سؤالٍ، والرد على اعتراضٍ، والشرح لقضية دينية أو مسألة علمية، والحلّ لعقدة نفسية أو معضلة فكرية، والتفنيد لشك يثيره العقلانيون، والمتغربون ضدّ الإسلام وكتابه وسنة رسوله، أو حكم من أحكامهما، أو لمزاعم المبتدعين وما يمارسه الجهال من جماهير المسلمين من الأعراف باسم الدين ما هو ينافي الدين على طول الخط وعرضه.

يتوزّع الكتاب على أبواب حسب الموضوعات، وهي فيما يلي:

في بداية الكتاب تقديم من الشيخ مرغوب الرحمن رئيس الجامعة، وكلمة المشرف على أكاديمية شيخ الهند، وكلمة المترجم، وسطور خاطفة عن الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله. ثم تعريف موجز بالجامعة الإسلامية دارالعلوم، ديوبند وأهدافها، وخصائصها، وعدد طلابها وأقسامها، وعدد الخريجين فيها، والمشاريع المستقبلية وما إلى ذلك.

١- أحاديث المجالس التي تتعلق بتفسير آيات كتاب الله.

٢- شرح أحاديث الرسول ﷺ .

٣- أمور فقهية .

٤- حكم ونوادر.

٥- خوض الناس فيما لايعنيهم .

٦- موضوعات مختلفة .

وفي نهاية الكتاب هوامش فيها تخريج الآيات والأحاديث، أو ترجمة شخصية.

وقد أحسن المترجم إلى قراء العربية إذ نقل قدرًا لابأس به من أحاديث مجالس الشيخ حكيم الأمة إلى العربية، وأتاح لهم فرصة الاستفادة منه، ومعرفة طرق الإصلاح والدعوة لدى المصلح الكبير الداعية الهندي.

٧- العالم الهندي الفريد : الشيخ المقرئ محمد طيب :

هذا الكتاب ترجمة حياة وجيزة للعالم الهندي الكبير الشيخ المقرئ محمد طيب (رحمه الله) المتوفى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. يقع في ١٨٤ صفحة بالقطع المتوسط، وقد نشرته مؤسسة العلم والأدب، ديوبند، الهند، عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

كان الشيخ نور عالم خليل الأميني معجبًا أشدَّ الإعجاب بشخصية الشيخ المقرئ محمد طيب وعلمه وحلمه، وسحر بيانه وعذوبة لسانه، وجمال مظهره ونزاهة مخبره، وشرف نسبه وحسبه، وفهمه وذكائه، وخفة روحه وجدّه في العمل ونشاطه وفعاليته في المجالات الدعوية والإصلاحية، كما كان معجبًا بخطبه القيمة المؤثرة التي كان يلقيها الشيخ المقرئ في الاحتفالات الدعوية والإصلاحية.

كلُّ ذلك حَمَلَ الشيخ نور عالم على أن يؤلف كتابًا في ترجمة حياة هذا العالم الهندي الفريد أداءً لبعض ضريبة حبّه نحوه.

يبحث الكتاب في ستة موضوعات مهمة:

الأول: نسب الشيخ ومولده وتعليمه .

الثاني: خدماته التدريسية والإدارية في دارالعلوم.

الثالث: خدماته الدعوية والإصلاحية في البلاد.

الرابع: مكانته في الخطابة و ومن مزايا خطاباته .

الخامس: مؤلفاته وشعبيته، واستقالته من منصب رئاسة الجامعة، ورحلاته خارج البلاد.

السادس: وفاته وأولاده .

وقد يتخلل هذا الكتابَ صورة للمباني التي أنشِئَت على عهد الشيخ محمد طيب.

وقد ألحق المؤلف في آخر الكتاب هوامش قيِّمة، تمَّ فيها التعريف بالأعلام والمؤسسات

والمدارس التي جاء ذكرها في النص، مما زاد الكتاب فائدة وقيمة للقراء.

يقول الشيخ:

«وقد ترجمت بإيجاز على الهامش كلَّ شخصية جاء ذكرها في النص، كما عرَّفت بكل مؤسسة وردت الإشارة فيه إليها، زيادةً للنفع، وإشباعًا لرغبة القارئ في المعرفة، ولاسيما بالنسبة للعلماء الهنود والمؤسسات الهندية، التي لايعرفها القارئ العربي في الأغلب، على أني استوعبت التعريف بكل شخص وارد ذكره في النص، عربيًا كان أو عجميا، وبكل مؤسسة داخل الهند وخارجها . جاءت إشارة ما إليها في النص، حتى يعُمَّ النفع، وتتم الفائدة، ويجد كل نوع من القراء في هذا الكتاب طلبته» ([٢٣])

٨ - الحالة التعليمية في الهند فيما قبل عهد الاستعمار الإنجليزي وفيما بعده:

هذا كتاب لشيخ الإسلام حسين أحمد المدني – رحمه الله – ألفه باللغة الأردية في موضوع مقارنة التعليم في الهند قبل الاستعمار الإنجليزي وبعده. يقع في ١٤٠ صفحة، ولما كان الكتاب فريدًا في موضوعه، وبقلم شيخ الإسلام حسين أحمد المدني، نقله كاتبنا الإسلامي إلى اللغة العربية، حتى يعُمَّ نفعه ويزيد سواد قارئيه. ونُشِرَ الكتاب في صفحات مجلة «الداعي» الشهرية الصادرة من دارالعلوم، ديوبند في حلقات متتالية، ثم جمعت أكاديمية شيخ الهند بدارالعلوم، ديوبند جميع حلقاته في كتاب، ونشرته عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٦م .

وأما الكتاب فهو يجمع أرقامًا دقيقة وأعدادا، ومقارنة عجيبة، ومعلومات مدهشة عما يتعلق بالحالة التعليمية في الهند فيما قبل قيام حكومة الاستعمار الإنجليزي في الهند، وفيما بعده، مع المقارنة مع الحالة التعليمية لشتى بلاد العالم المتقدمة، منها والمتخلفة المعاصرة، للهند المستعمرة، وذلك في ضوء وأعداد وأرقام للمسيرة التعليمية في تلك البلاد. وتبين في ضوء الإحصائيات والبيانات التي دوَّنها المسؤولون الإنجليز الكبار بدورهم مدى المستوى الصاعد الذي كانت عليه المسيرة التعليمية فيما قبل عهد الاستعمار، ومدى المستوى الهابط الذي أوصلها إليه، الاستعمار عن تعمد وتخطيط بعيد المدى.

يقول المترجم عن قصة ترجمة هذا الكتاب القيم:

«بشكل مفاجئ وقع نظري على هذا الكتاب، وأنا أبحث في مكتبة إحدى الجمعيات الطلابية بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، عن الكتب التي تتناول موضوع منهاج التعليم الإسلامي في الهند في

([٢٣]) لعالم الهندي الفريد: الشيخ المقرئ محمد طيب ص : ١١.

شتى العهود، فسررت سرورًا لا أكاد أصفه كأنني صادفت كنزًا مخفيًا وبصورة مفاجئة» ([٢٤])

يقول الشيخ عتيق الرحمن العثماني وهو يسلط الضوء على أهمية الكتاب: «لكنني أستطيع أن أووكّد في ضوء ما تمكنت منه من القراءة الخاطفة، لصفحات الكتاب أنه غير مسبوق في موضوعه، وأن كلّ سطر من سطوره، يفيض درسًا واسعًا للهنود المنكوبين.

والكتاب – كما ينطق به اسم الكتاب – يهدف إلى وضع ملامح واضحة للحالة التعليمية للهند بشكل يبعث الدروس والعبر، ولم يترك ناحية تمسُّ الموضوع ولو من بعيد جدًا إلا وتناوله بالدراسة المشبعة» ([٢٥])

٩ - بحوث في الدعوة والفكر الإسلامي :

هذا الكتاب في الحقيقة مجموعة مقالات ومحاضرات كتبها أو ألقاها في مختلف المناسبات شيخ الإسلام حسين أحمد المدني – رحمه الله – أحد العلماء العباقرة من أبناء الجامعة الإسلامية دارالعلوم، ديوبند.

وقد سعد بنقله إلى العربية الشيخ نور عالم خليل الأميني، ونشرته أكاديمية شيخ الهند بدارالعلوم ديوبند عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م . وأما البحوث والمقالات والمحاضرات التي يتضمنها الكتاب فهي فيما يلي:

الأول : المسلمون ومسؤولية الدعوة.

الثاني : قضية تعدد زوجات النبي ﷺ .

الثالث : المعراج الجمساني في ضوء الدلائل والبراهين .

الرابع : ذكر الله.

الخامس : جمال المؤمن أو الزيّ الإسلامي.

السادس : حقيقة نزول الرب إلى السماء الدنيا.

قد تناول الشيخ هذه الموضوعات كلها بالبحث بالبراهين والأدلة المستقاة من الكتاب والسنة، وقد تأخذه الغيرة حين يبحث في موضوع اللحية، فيصير حديثه مكهربًا بالكيفية القلبية والروحانية، فهو يعتبر قلة الوفاء وعدم الولاء للنبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن زيّ أحدٍ موافقًا لنبيه صلى الله عليه وسلم.

وكان شيخ الإسلام مدرسًا للحديث النبوي في المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، وفي دارالعلوم ديوبند، وكان أشدَّ الناس اتباعًا للسنة، في قوله وفعله وحركاته وسكناته، فكان يحب

([٢٤]) الحالة التعليمية ص : ١١.
([٢٥]) لمصدر السابق ص: ٢٢.

أن يرى كلّ مسلم متبعا للسنة النبوية.

* * *

١٠- علماء ديوبند: اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي :

هذا الكتاب من أهمّ الكتب التي نقلها الشيخ نور عالم خليل الأميني إلى اللغة العربية. وهو في الحقيقة كتاب باللغة الأردية ألفه الشيخ المقرئ محمد طيب في مذهب علماء ديوبند ومعتقداتهم واتصالهم بأهل السنة والجماعة .

وهو يقع في ٣٥٧ صفحة، نشرته الجامعة الإسلامية دارالعلوم، ديوبند عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

ومما يدل على أهمية الكتاب أنّ الشيخ المفتي محمد تقي العثماني حلّى جيده بمقدمة ضافية القول، أبان فيها قيمة الكتاب والحاجة إليه، فقال:

.. استجدّ هنا أمران في العصر الأخير تسبّبا في شعورنا بالحاجة إلى إبانة مذهب علماء ديوبند ومزاجهم الديني وذوقهم الإسلامي في كتاب مستقل.

الأمر الأول: أنّ الإسلام دين الاعتدال، وحينما وَصَفَ القرآن الكريم هذه الأمة بـ«أمة وسط» أعلن أنّ مزاياها الأساسية هو التوسط والاعتدال، وبما أنّ علماء ديوبند يتبنون هذا الدين الوسط فإنّ مذهبهم ومزاجهم وذوقهم الديني معجون بهذا الاعتدال، وطريقهم يمر بين الإفراط والتفريط بشكل لايتورط ذيلهم في أي من الطرفين المتقاصيين، ومن خصائص الاعتدال أنّ الإفراط والتفريط كليهما يشكوانه، ويتأذيان به، فالإفراط يتهمه بالتفريط، والتفريط يعيبه بالإفراط.

والأمر الثاني: أنّ مذهب علماء ديوبند عنوان للمنهاج العملي والفكري الذي تلقاه مؤسسو (الجامعة الإسلامية) دارالعلوم، ديوبند، وكبار مشيختها المعتبرين من مشائخهم بالسند المتصل الذي يرتفع مارًا بالتابعين والصحابة رضي الله عنهم إلى رسول الله ﷺ .

وفي جانب آخر: أن الجامعة الإسلامية دارالعلوم، ديوبند، التي ينسب إليها هذا المذهب في الأغلب مركز تعليمي يعمل جاهدًا منذ أكثر من قرن وربع قرن على تدريس العلوم الإسلامية، وقد خرّج خلال هذه الفترة الطويلة من العلماء من قد يبلغ عددهم مئات الآلاف إلى جانب الآلاف من المدارس المنتشرة في شبه القارة الهندية التي تنسب إلى دارالعلوم ديوبند باعتبارها منبعًا لها، وخريجوهاهم الآخرون يُسَمّون في المصطلح العام «علماء ديوبند» ([٢٦])

والجدير بالذكر أنّ هذا الكتاب هو آخرما ألفه حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب رئيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند سابقًا، بمناسبة الاحتفال المئوي للجامعة إبانة عن مذهب ومعتقدات علماء

([٢٦]) مذهب علماء ديوبند ص ١٣، ١٤.

ديوبند، غير أنّ الكتاب ظلّ مسودة قبل الاحتفال وبعده، ولم يتيسر صدوره، حتى قامت بطبعه «إدارة إسلاميات لاهور» عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

ثمّ نقلَ الشيخ نور عالم خليل هذا الكتاب في صفحات «الداعي» في حلقاتٍ، ثمّ جمعها في كتابٍ، ونشرته دارالعلوم ديوبند عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

ومما زاد أهمية الكتاب أنّ الشيخ نور عالم كتب هوامش قيمة على الكتاب، فيها تراجم كبار العلماء الوارد ذكرهم في ثنايا الكتاب، كما رتّبه ترتيبًا جديدًا يوافق وذوق القارئ المعاصر.

* * *

١١ -فلسطين في انتظار صلاح دين :

هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألفه الشيخ نور عالم، وهو يقع في ٦٦١ صفحة بالقطع المتوسط، ونشرته مؤسسة العلم والأدب، ديوبند الهند عام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

إنّ قضية فلسطين وقيام الدولة الصهيونية على أراضيها أهم القضايا المصيرية التي تواجهها الأمة الإسلامية منذ القرن الماضي .

إنّ أرض فلسطين هي ملك الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية، وإنما قامت الدولة اليهودية على أرضها بشكل غير شرعي، وبتأنيد ومناصرة بريطانيا وأمريكا.

وقد جاءت فكرة إنشاء «وطن قومي» في فلسطين في كتابات كاتب مجريٍّ يهودي اسمه «تيودر هرتزل» (Tudor Herzal) ، ثم عقدَ مؤتمرًا عالميا لليهود في «بازل» (Basel) بسويز (Suisse) عام ١٨٩٧م واتخذه منطلقًا للحركة الصهيونية لإنشاء وطن قومي في فلسطين. وأخذ اليهود يبذلون أموالهم ودهاءهم وجهودهم منذ ذلك الوقت لتنفيذ القرارات التي اتخذت في المؤتمر.

ذهب يهودي داهية اسمه «إيمانويل قره صو» إلى السلطان العثماني الخليفة عبد الحميد الثاني (١٢٥٨/١٣٣٦هـ) وقد عرض هذا اليهودي على السلطان أنّ الحركة الصهيونية مستعدة أن تقدّم قرضًا للدولة العثمانية قدره خمس منة مليون من الجنيهات، وأن تُقدّم هدية خاصة لخزانة السلطان قدرها خمس منة مليون، نظير السماح لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين .

لكن السلطان العثماني الخليفة عبد الحميد الثاني رَدَّ على المندوب اليهودي ردًّا شديدًا تتجلى فيه الغيرة الدينية والحماسة الإسلامية قائلاً:

«بلّغوا الدكتور «هرتزل» أن لايبذل بعد اليوم شيئًا من المحاولة في هذا الأمر، فإني لست مستعدًّا، لأن أتخلى عن شبرٍ واحدٍ من هذه البلاد، لتذهب إلى الغير.. فالبلاد ليست ملكي، بل هي ملك شعبي، وشعبي روى تربتها بدمائه؛ فليحفظ اليهود بملايينهم من الذهب».

إنّ صرامة السلطان عبد الحميد وعدم ليونته في شأن اليهود ووطنهم المزعوم كانت جريمته

التي لاتغتفر في نظر اليهود، وقدروا أنهم لاينجحون في مرامهم إلا بعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد وإزالة الخلافة العثمانية من وجه الأرض، فألفوا جمعيات ومنظمات ضدَّ السلطان ونُظُم الخلافة، وأثاروا ثوراتٍ حتى أطيح بالسلطان، وأزيلت الخلافة العثمانية.

هذا وقد خسرت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى معظم ولاياتها، ودخلت فلسطين تحت الانتداب البريطاني. فوعد وزير الخارجية البريطاني آرثر جيمس بالفور آنذاك بإنشاء وطن قومي لليهود، واشتهر هذا الوعد – بوعد بالفور – وبذلت بريطانيا في فترة انتدابها لفلسطين مجهودات مضنية لحشد اليهود في فلسطين ولاسيما في القدس من شتى أقطار العالم. حتى أعلنت هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م عن قيام دولة اليهود في فلسطين..

وقد قاوم العرب الفلسطينيون وغير الفلسطينيين هذا المشروع مقاومة باسلة، وخاضوا مع اليهود ثلاث حروب ضاربة عام ١٩٤٨م، و١٩٦٧م و ١٩٧٣م، ولكنهم باؤوا بالهزيمة فيها؛ لأن أمريكا وبريطانيا والقوى الغربية قامت بجانب دولة إسرائيل تمدها بالعدد الحربية. حتى احتلت إسرائيل في حرب ١٩٦٧م مناطق إستراتيجية لكل من مصر وسوريا والأردن بجانب احتلالها لمدينة القدس بما فيها المسجد الأقصى.

هذا الكتاب يعالج القضية الفلسطينية: كيف قامت دولة إسرائيل؟ وما هو تاريخ أرض فلسطين وجغرافيتها؟ وما هي الأحداث والمجازر التي حدثت على أرضها بعد الاحتلال؟ وما هي المراحل التي مرت بها القضية؟ وما إلى ذلك.

قد تابع المؤلف هذه القضية منذ نحو ٣٥ عامًا ووقف قلمه السيَّال لتسجيل كل ما يمر به من مراحل، وذلك في فراسة المؤمن الغيور وبصيرة المفكر الواعي، فهو يقول:

«إنَّ كاتب هذه السطور لايزال يهتم بالقضية الفلسطينية بشكل مباشر منذ نحو ٣٥ عامًا على الأقل، منذ أن بدأ يكتب باللغة العربية، وظل يكتب عنها فعلاً منذ محرم ١٤٠٣هـ/ أكتوبر ١٩٨٢م، حيث ظلَّ يكتب حول هذه القضية – التي هي القضية العربية الإسلامية الأولى لدى العالمين العربي والإسلامي – وكأنها ألمَّتْ حزنًا ممضًّا في أسرته . وكل ماكتب في هذا الشأن منذ ذلك اليوم إلى أواخر ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م يسعده أنه يقدمه إلى القراء كتابا مستقلاً، قراءتُه تضع أمامهم في جانب القصة الأليمة الكاملة الفائضة بالعبر والدروس لجميع ما مرت به القضية من صعود وهبوط، وعناية الأمة المسلمة بها عناية مخلصة متعاطفة، ومقاومة الفلسطينيين الإسلاميين الباسلة، ودمار الشعب الفلسطيني، واستشهاده وتشرده، وعيش اللاجئين الفلسطينيين في شتات أليم، وصمود ومرابطة الأطفال والشباب والرجال والنساء من الشعب الفلسطيني على هذا الثغر الإسلامي الأكثر بركة وقداسة وسعادةً؛ وفي جانب آخر تضع صورةً واضحة كاشفة لجمود القادة والساسة العرب

والمسلمين، وحقيقة وقوعهم فريسة سهلة للمؤمرات الصهيونية الصليبية؛ بل كونهم عملاء للصهاينة والصلبيين» (٢٧)

لقد استنتج الشيخ من دراسة القضية الفلسطينية ومتابعتها أنه ليس لها حل إلا حل واحد، وهو الجهاد.. فهو يقول:

«بعد الاطلاع على ذلك كله. يتأكد كل قارئ غيور لديه قلب متألم أنّ حلم تحرير فلسطين واستعادة المسجد الأقصى، واسترداد القدس وعودة الفلسطينيين المشرَّدين إلى أرضهم ودورهم لن يتحقق إلا بالجهاد المقدس، والمقاومة المخلصة، والنضال الداعي للمغامرة؛ وأنّ كل طريق غير هذا الطريق إنما يؤدي إلى هوَّةٍ سحيقةٍ لايرجى التخلص منها بعد السقوط فيها، وتلك حقيقة لاتثبت فقط بتجارب المسلمين التاريخية مع اليهود المغضوب عليهم والصليبيين الضالين؛ بل تثبت كذلك بدراسة القضية الفلسطينية بأسرها من أولها إلى آخرها – القضية التي إنما نشأت عن بطن تحالف اليهود والصليبيين وعدائهم الذي لايعرف نهاية مع المسلمين والإسلام – إنّ دراسة هذه القضية بدورها أكدت وتؤكد بأساليب لاتحصى ومرات لاتعد أنّ كل طريق لتحرير فلسطين غير طريق الجهاد والمقاومة إنما هو سراب خادع، وسم مميت، وشر مستطير، وحيلة من حيل الشيطان الرجيم» (٢٨)

ونظرًا إلى أهمية الموضوع والمعلومات التي يحويها الكتاب نقله المؤلف إلى اللغة العربية، ليتيح فرصة الإفادة منه لقراء الأردية المنتشرين في شبه القارة الهندية خاصة وفي بلاد العالم عامة، كما شرح الكلمات الصعبة والتعبيرات المستعصية في الهامش ليسهل على طلاب العربية فهم النص والاستفادة منه من حيث اللغة.

ويُقدَّر أهمية الكتاب من أنّ الطبعة الأولى قد نفدت في غضون شهرين تقريبًا.

* * *

هذا وقد ألقيت ضوءًا خاطفًا على أهم كتب الشيخ نور عالم المؤلفة والمترجمة، وتركت ذكر بعضها الآخر لئلا يطول بنا البيان.

بجانب هذه الكتب المؤلفة والمترجمة كتب الشيخ – ولا يزال يكتب – بحوثاً ومقالات نشرتها مجلة «الداعي» التي يرأس تحريرها بنفسه، و«البعث الإسلامي» و«الرائد» بالهند، ومجلة «الدعوة» الرياضية ومجلة «الفيصل» ومجلة «الحرس الوطني» السعوديتان.

مجلة الداعي العربية:

أما مجلة «الداعي» التي يرأس تحريرها فهي موزَّعة على زوايا متعددة، وقد خصَّ بعضها بالكتابة فيها. فهو يكتب في الزوايا التالية باستمرار:

---

(٢٧) فلسطين في انتظار صلاح دين، ص: ٣٠، ٣١.
(٢٨) المصدر السابق ص: ٣١، ٣٢.

١- كلمة المحرر: يُعلّق فيها على نبأ أو حادث جرى في الهند أو في العالم الإسلامي لاسيما العربي.

٢- كلمة العدد: يتناول بالكتابة فيها موضوعًا يخص قضية من قضايا الأمة الإسلامية سواء كانت دينية أو دعوية أو إصلاحية أو اجتماعية أو سياسية أو إلى تلك.

٣- الفكر الإسلامي: ينقل فيها إلى العربية كتابا من كتب مشائخ الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند في حلقات مستمرة، وقد تمَّ حتى الآن نقل كتب عديدة في هذه الزاوية، مثلا: لآلي منثورة، وعلماء ديوبند، والإسلام والعقلانية، وما إلى ذلك.

٤- إلى رحمة الله: يكتب فيها ترجمة رجل من رجالات الأمة الإسلامية استأثرت به رحمة الله، وكان له خدمات جليلة في مجال الدين والعلم والدعوة والإصلاح، أو الأدب والثقافة أو السياسة.

٥- إشراقـــة: هذه زاوية يُسَجِّلُ فيها خاطرةً أو فكرةً سنحت له، أو تجربة من تجاربه التي عاشها خلال مشواره العلمي والأدبي.

وقد كتب صاحبنا في هذه الزوايا بحوثاً ومقالات تشكل تراثاً هائلاً من العلم والأدب، فلو جُمِعت هي كلها لجاءت في مجلدات كبار.

* * *

مساهمته في اللغة العربية وآدابها

تتوزّع مساهمته في اللغة العربية وآدابها وممارسة النشاطات المتنوعة فيها على أربعة مجالات أساسية، وهي فيما يلي:

١ – مجال التدريس .

٢ – مجال التأليف .

٣ – مجال الصحافة .

٤ – مجال المشاركة في الندوات والمؤتمرات بالبحوث والمقالات .

وقبل أن أخوض غمار الموضوع أريد أن أسلّط ضوءًا خاطفًا على تعلمه للُغة العربية وسبب اتخاذه إيّاها موضع حبّه واهتمامه، وقد أسلفت أنه التحق بالصف الأول العربي في دارالعلوم منوناث بهنجن، وذلك ٦/ شوال ١٣٨٣هـ الموافق ٢٢/يناير ١٩٦٤م، حيث وَجَدَ بيئة علمية تحثه على بذل الجهود والصبر والمثابرة، وسهر الليالي في سبيل العلم، كما وجد فيها الأساتذة الصلحاء الربانيين الذين قرأ على بعضهم تعليم المتعلم للعلامة برهان الدين الزرنوجي، وتأثّربهم كثيرًا، فهو يُبْدِي انطباعاته عن هؤلاء العلماء الكبار بأسلوب قوي:

«كان هؤلاء الأساتذة من الصلاح والتقوى والزهد في الدنيا بحيث نستطيع أن نشهد بطهرهم وقداستهم حالفين بالله عزّ وجَلَّ . وكنّا أيامئذٍ أبرياء لم تخطّ أيدي الزمان على قلوبنا خطوطاً معقدةً متعرجةً يصعب محوها، وإثبات خطوطٍ إيجابيةٍ مستقيمةٍ نافعة مكانها؛ فببركة هؤلاء الأساتذة الصالحين المزكّى القلوب وفقنا الله عزّ وجلّ أن نحب الكتاب؛ بل نعشقه، ونسيغ محتوياته، ونأخذ بما فيه من الدروس، وننفذه على أنفسنا، وكنا نتناشد مافيه من الأبيات ولاسيما التي تحرّض على قلة المنام، وقلة الطعام، وقلة الكلام، والسهر في الليالي والناس نيام، ونعمل لحد مستطاع بما تقول الأبيات، كأنها إنما تخاطبنا إيّانا، ولا تخاطب غيرنا.

وقد شهدت الليالي أننا لم نذق فيها النوم عبر أربع سنوات إلا فيما بعد الساعة الثانية، إلا أن تكون ليالي الخميس، فكنا ننام فيها ملء الجنون فيما بعد صلاة العشاء لوقت أذان الفجر.

والحصاد الحلو الذي سعدنا به في حياتنا الدراسية وبعض ما كسبناه من الأهلية إنما يرجع الفضل في ذلك إلى هذه الليالي المباركة في تلك السنين السعيدة؛ وبالتالي يرجع إلى هذا الكتاب الكريم: «تعليم المتعلم في طريق التعلم» الذي جعلنا نشمر عن ساق الجد، ونتوفر على الدراسة، ونغتنم كلَّ لحظة من لحظات الليل والنهار.

كما أنه كان الكتاب الوحيد الذي درّبنا أستاذنا المعنيّ من خلاله على تكوين الجمل العربية، وتطبيق قواعد النحو والصرف في الألفاظ والجمل العربية والنسج على منوالها، والسير في ضونها، فما كسبناه من أهلية صياغة الجمل، وتكوين العبارات الخفيفة، وفهم التراكيب والتشكيلات اللغوية، قبل أن نتوافد إلى الجامعة الإسلامية الأم دارالعلوم/ ديوبند، وقبل أن نتعلم اللغة العربية كلغة حية على معلّم العربية الفريد الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي المتوفى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، إنما يرجع الفضل كله إلى هذا الكتاب القيم أوّلاً وإلى مساعي أساتذتنا ثانيًا وإلى توفيق الله تبارك وتعالى أوّلاً آخرًا» ([٢٩]).

قد استنتجت من هذا النصّ المذكور أعلاه أنّ الأساتذة الصلحاء في مدرسة دارالعلوم منوناث بهنجن حَبَّبُوا إليه العلم والمعرفة بصفةٍ عامةٍ، والأستاذ الذي كان يدرسه كتاب تعليم المتعلم غَرَسَ في قلبه البريء الصافي حُبَّ اللغة العربية، بصفةٍ خاصةٍ، حيث درّبه على تكوين الجمل، وتشكيل التراكيب، وتذوق محاسن الأساليب. ثم تَنَمّىٰ وتطوّر هذا الحبُّ مع الزمن فأصبح هُيَامًا بل وجنونًا.

ثمَّ شدَّ رحاله إلى الجامعة الإسلامية – دارالعلوم/ ديوبند، و ذلك في ١١ أو ١٢/شوال ١٣٨٧هـ/ ١٥ أو ١٦/ يناير ١٩٦٨م، و التحق فيها بالصف الرابع العربي، وقد اتصلت أواصره بالشيخ وحيد الزمان فدرس عليه مقامات الحريري، كما التحق بالصفوف العربية التي كان يتمرن فيها الطلاب على اللغة العربية، وكانت تجري تحت إشراف الشيخ وحيد الزمان ورعايته.

وفي السنة الثانية للصف العربي لتعليم اللغة العربية، اضطلع برئاسة تحرير المجلة الحائطية «النهضة»، وقد كان الشيخ أناط به هذه المسؤولية، ولما وزّع المسؤوليات للمجلة أمر الطلاب بكتابة طلب باللغة العربية، فكتب الشيخ نور عالم طلبه بأسلوب مسجّع ومقفّى وبخطٍ جيّد، فاستحسنه الشيخ وحيد الزمان طلبه، غير أنه نبّهه على أن يكتب النثر بأسلوب مرسل لا مسجع.

فكان يُصدر هذه المجلة الجدارية، يتمرن خلالها على الكتابة باللغة العربية، وقد أدّت المجلة دورًا كبير في تمكينه من الكتابة والإنشاء.

يقول عن دراسته للغة العربية على الشيخ وحيد الزمان:

«درسنا على الشيخ هذه اللغة، وفوجدنا فيه لتدريسه أهلية نستطيع أن نقول: إننا – ولا مؤاخذة ولا يحملنّ أحد ذلك على المبالغة – ما وجدنا في أي مدرس للغة العربية في المدارس والجامعات التي نعرفها في داخل شبه القارة وخارجها، إننا لاندعي أن الشيخ يفوق الجميع في العلم والفضل والأدب، وسعة الدراسة؛ فإنا نعلم أنّ هنا في الهند بالذات من يفوقونه بدرجات كثيرة حتى في اللغة العربية وآدابها، ولكن الذي يميزه عن غيره كلَّ التمييز هو لباقته في العرض والشرح، وأهليته

([٢٩]) مقدمة تعليم المتعلم بقلم الشيخ نور عالم خليل الأميني ص: ١٠، ١١.

المدهشة حقًا في سرعة نقل الأفكار والعواطف والمواد الدراسية إلى تلاميذه نقلاً موفقًا، وقدرته الفائقة على الإقناع والإفهام والإيضاح، وطريقته النبيلة الجديرة بالذكر في الدلالة على «أقصر طريق لأبعد منزل».. الأمر الذي جعلنا جميعًا نقول: إنَّ الشيخ يستطيع أن يزوِّد أحدا أكثر مما عنده من العلم والمعلومات.

كثير من زملائنا الذين شرقوا في الأرض وغرّبوا، وعدد منهم يشتغلون أساتذة في بعض الجامعات قد شهدوا بأنهم مارأوا بأم أعينهم من يضارع الشيخ في المزايا المذكورة بالمجموع».

ويقول في موضع آخر:

«إننا قبل أن نتصل به عن طريق ناديه وتدريسه، وتربيته كنا ننظر بعينٍ واحدةٍ، فعدنا بعد الاتصال ننظر بعينين معًا، كنا بدويين فصرنا حضريين، كنا ذرةً تائهةً، فعدنا شمسًا منيرةً، كنا المواد الخام، فصنع منها أشياء غالية تنفع الناس والحياة والبلاد» ([٣٠]).

إنه تعلَّم اللغة العربية؛ لأنها لغة الكتاب والسنة، ولغة الشريعة الإسلامية، ولم يتعلمها؛ ليكسب شهرةً أو ينال مكسبًا ماديًّا، أو يشغلَ وظيفةً في العالم العربي، وإنما تعلَّمها حين لم يكن يعرف العالم العربي ولم يتفجر فيه أنهار الثروات والخيرات. فهو كما قال الشاعر العربي:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبًا خاليًا فتمكنَا

فهو يصف حبّه وهيامه باللغة العربية في إحدىٰ إشراقاته، فيقول:

إننا وكثيرًا لايحصون من أمثالنا نحن الشباب الذي رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً نبيًّا، تعلموا العربية وهم لايعرفون العالم العربيَّ، وقصة تفجر الثروات والخيرات في أرض العروبة، فشُغِفُوا بها حُبًّا، ولم يخطر ببالهم أنّهم يوظفونها ذريعةً للمكسب الماديِّ الرخيص، أو لكسب «وجاهةٍ» يستغلُّونها هي الأخرى لتحقيق الأهداف التي لاتعدو أن تكون مادية .

إنَّ الاشتغال بالعربية والكتابة بها أو تعليمها أو العمل على نشرها بالنسبة إلينا مبعث اعتزاز واهتزاز وافتخار، كما أنّها وسيلة إلى جزيل الأجر وجميل الذكر، وعميق الشكر.

إننا نكتب بها فنشعر حقًا كأننا نغازل أغنى الغانيات في العالم، تتغنى معها قلوبنا، وتتناجى معها نفوسنا، وتتفتح لها صدورنا، وتتعطر بأريجها ذاكرتنا، وتهتز منها أقلامنا، وتسري الفرحة الغامرة من أرواحنا مسرى الدماء في عروقنا، ودموع المسرة الطربة في مآقينا.

نعم! قد تكون لكثير من النّاس حاجات اضطرتهم أو رغّبتهم في تعلم اللغة العربية والاشتغال بها، ولكنا تعلّمناها وألواح قلوبنا صافية، من شائبة أيّ حاجةٍ ملطخة بالمادية، وأتانا هوانا قبل أن نعرف الهوىٰ، فصادف قلبًا خاليًا فتمكنًا .. اللّهم إلا الحاجة الروحانية المقدسة النابعة من حبّ النبي

([٣٠]) مجلة الداعي العدد: ١، السنة ١٩/ محرم ١٤١٦هـ = يونيو ١٩٩٥م .

العربي محمد ﷺ ، وللكتاب الذي نزل عليه، والقوم الذين وُلِدَ ونشأفيهم: الحب الذي نشأ هو الآخر برئيًا ساميًا روحيًا نشأة الطفل البريء الذي يتنَزّه عن جميع السفاسف تنزّهَ ملائكة الرحمن عنها، ويحلم بآمال جميلة عفيفة كان يحلم بها قلوب مؤمني الرعيل الأول ..

ومن هذه الحاجة النبيلة انطلقنا لخدمة اللغة العربية.. وكلُّ ما كسبناه من الغرض المادِّي – أو نكسبه في المستقبل – عن طريقها إنّما حصلت لنا «تلقائيًا» وبصورة عفوية، ولم نسخرها له توًّا، ومن بداية الطريق، أو قل: لم تضطرنا «الحاجة المادية» أن نقبل عليها لنختارها وسيلةً مباشرة إليها» ([٣١])

بهذه النية المخلصة، والعاطفة الصالحة، والطموح المدهش، والحبّ العميق للغة العربية تعلّمها، واشتغل بخدمتها تدريسًا لها، وكتابةً بها، وإعداد بحوث ومقالات فيها. فهو مازال ولايزال على هذه الصفات حتى الآن.

١ – مجال التدريس :

قد سبق أن ذكرت أنّه قصد دهلي عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ليفيد من الشيخ محمد ميان الديوبندي ثم الدهلوي في مجال التأليف والكتابة باللغة الأردية. فأفاد من الشيخ في المجالات المتنوعة من الحديث والإنشاء أيما استفادةٍ، ثم ألقى عصاه في دهلي يدرس كتب الأدب العربي دراسة حرةً، ويَستعدُّ للالتحاق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ويبغي سبيلاً للوصول إليها. فساقه الحظ، وحدابه التوفيق الإلهي إلى الشيخ أبي الحسن علي الندوي، وقابله في قريته دائرة علم الله الحسني، فأعجبَ به الشيخ كثيرًا لاجتهاده وصبره، وشغفه باللغة العربية، وجودة خطه، وحسن خلقه ومواهبه، وبره ووفائه، فحرص على أن يستبقيه عنده ليعينه في أعمال التأليف والكتابة والإملاء.

بقي عند الشيخ أبي الحسن علي الندوي عِدَّة شهور، يعينه في التأليف والإملاء، وخلال هذه الفترة أملى الشيخ عليه .. «السيرة النبوية» كاملاً، كما أنه بَيَّضَ هو بخطه.

كان الشيخ نور عالم قلِقًا ومضطربًا تجاهَ أوضاعه الاقتصادية، فصارح بها الشيخ، وأستاذه الشيخ محمد ميان فأشار عليه بالصبر حتى يجعل الله له مخرجاً.

فعام ١٩٧٢م/١٣٩٢هـ عيَّنه الشيخ الندوي مدرسًا في دارالعلوم التابعة لندوة العلماء على راتب قدره ١٠١ روبية. فمنذ هذا العام بدأ رحلته التدريسية، فدَرَّس الكتب إلى الصف الرابع، ثم ترقى فدرَّس في الصف السادس ديوان الحماسة لأبي تمام، ومختارات من أدب العرب للشيخ الندوي، وكان الطلاب يؤثرون أن يدرسوا عليه مادة الإنشاء؛ لكونه تلميذ الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، وأهليته الفريدة في الإلقاء والإيضاح والإفهام.

([٣١]) إشراقة مجلة الداعي العدد: ١، السنة: ١٩/محرم ١٤١٦هـ/ يونيو ١٩٩٥م

كان الأساتذة والطلاب في دارالعلوم التابعة لندوة العلماء يعترفون له بالفضل والنبوغ في مجال تدريس اللغة العربية، وإعراب الجمل المعقدة، وحلّ الأحاجي النحوية، والترجمة من وإلى اللغة العربية ترجمة دقيقة .

وقد درس عليه عدد ملحوظ من الطلاب خلال تدريسه بدارالعلوم التابعة لندوة العلماء، والكثير منهم يشتغلون أساتذةً في الجامعات أو موظفين في الدوائر الحكومية، حتى نال بعضهم جوائز حكومية .

عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م دعاه أستاذه الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي إلى الجامعة الأم: الجامعة الإسلامية دارالعلوم/ ديوبند؛ ليرأس تحرير مجلة «الداعي نصف الشهرية الصادرة منها، ويكون أستاذا للأدب العربي بها، فبعد لأي لبّى دعوته. فتمّ تعينه مدرسًا للأدب العربي، ورئيسًا لتحرير مجلة «الداعي» نصف الشهرية .

يدرس في قسم الأدب العربي المختارات العربية، وفي قسم التخصص في الأدب العربي، كتاب البخلاء، كما يُشرف على كتابة المقالات في هذا القسم، ومطالعة الكتب الأدبية في القسم نفسه. كما يدرس القصائد المنتخبة من ديوان المتنبي في الصف السادس العربي.

قد تعلّم منه اللغة العربية عدد كبير من الطلاب في دارالعلوم التابعة لندوة العلماء، ودارالعلوم/ ديوبند، غير أنه بذل مجهوداته المكثفة على سبعين أو ثمانين منهم حتى خرّجهم بارعين في اللغة العربية يشغلون المناصب في الجامعات أو الوظائف في الدوائر الحكومية، كما أنه أكمل نحو مئة طالب تحت إشرافه في قسم التخصص في الأدب مقالات في مختلف الموضوعات باللغة العربية .

أما أسلوبه في تدريس اللغة العربية هو أنّه لايُبَيّنُ للكلمة – إن كان لها معانٍ متعددة – إلا معناها المراد في ذلك الموطن، حتى يتمكّنَ الطلاب من فهمه وحفظه.

وهو يؤكد على التمرين مثل أو أكثر من القواعد؛ لأنَّ اللغة كانت قبل القواعد، وهي تابعة لها. وأسلوب التمرين هو أن تستعمل كل كلمة وجملة في في جمل متعددة، وصور مختلفة، حتى تكون مِلكاً للمستعمل فهو دائمًا يقول: إنَّ التعبير الجميل، والجملة الرشيقة الذين يقرؤهما الطالب – إن لم يستعملهما في استعماتهما المتعددة – هما من اللغة كانا قبل قراءته وبعدها في مواضعهما. ولم ينل الطالب منهما أي فائدةٍ، وأما إذا استعملهما في جمله المتعددة استقرّا في ذهنه، وذاكرته، وتمكن من استعمالهما متى مَسَّت الحاجةُ إليهما.

ثم إنه يجب أن تخزن المفردات والجمل في الذاكرة، وتراعى القواعد، وتُصرَّف في الصّيغ المختلفة، كذلك يجب أن يُعَبِّر الطالب عمّا لديه من الكلمات والجمل بصور مختلفة من لغته الأم. وتلك طريقة ناجعة لتعلم أي لغة .

وقد فُطِرَ على المزاح، وحضور النوادر، وظرافة الطبع، والدعابة، فهو يوظّف هذه الصفات في تدريسه أيضًا، فهو يستخرج ضحك الطلاب رغم تقييدهم بآداب الدرس وتشديده فيها – حتى لايملّ الطلاب، فهو يشرح الدرس بأسلوب طريف، ويستعين بأسلوب التمثيل والتجسيم حتى يرسخ معاني الدرس في أذهان الطلاب. فبهذه الخصائل المذكورة أعلاه هو محبوب لدى الطلاب، خفيف الظل، مشوِّق، مثير الهمة، وموضع الشوق والاهتمام.

وبصدد تعليم اللغة العربية حضرَ مع مجموعة من أساتذة دارالعلوم ندوة العلماء في الدورة القصيرة لثلاثة أشهر لتدريب معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، المنعقدة في الرياض بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٣هـ.

هذه الرحلة الطويلة التي قطعها في تدريس اللغة العربية جعلته مدرسًا ناجحًا بمعنى الكملة لتدريس اللغة العربية .

٢ - مجال التأليف :

قد ساهم الشيخ في اللغة العربية وآدابها بمؤلفاته القيّمة المتنوعة؛ فقد ألف «مفتاح العربية» في جُزْءَيْن لتعليم اللغة العربية لطلاب الصف الأول، والثاني. وذلك نزولاً عند أمر المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية دارالعلوم/ ديوبند.

كما ألف «حرف شيرين» (اللفظ الحلو) وبَيّنَ فيه: كيف يتعلم طلاب المدارس الإسلامية اللغة العربية؟ فوَزَّعَ أساليب التعلم على مستويات مختلفة، ذكر لكل مستوى أسلوبه الموافق له، وهذا كتابٌ مفيدٌ جدًا، واسع الانتشار والذيوع في المدارس الإسلامية.

هذا وقد ذكرت أنّ الشيخ جيّد الخط، كان قد تعلّمه من الشيخ إبراهيم في كُتّاب قريته، وأدخل على خطّه تحسينات وتجويداتٍ مع الأيّام .

هذا وقد رأى الشيخ أنَّ الطلاب في المدارس الإسلامية يكتبون إملاءهم وإنشاءهم ومقالاتهم، بخط النسخ، ويلاقون في الكتابة به كثيرا من الصعوبات والمشكلات لطبيعة الخط وقواعده، وسرعة الكتابة بهذا الخط أصعب، كما أنّهم لايعرفون أهمية خط الرُّقعة، ولا يستعملونه في كتابتهم، مع أنَّ الكتابة به أسرع وأسهل. وأنَّ خط الرقعة هو الذي يستعمل في الكتاب، والمدرسة، والكلية، والجامعة، وفي البيت، والسوق، والمحطة والمطار، ومحطة الإذاعة، ومحطة التلفاز، وفي جميع الكتابات اليدوية. وأنَّ الذي لايعرف خطّ الرقعة ولايستعمله في كتابته يعتبر غريبًا عن اللغة العربية وآدابها.

انطلاقاً من أهمية الخط العربي لاسيما خط الرُّقعةِ ألفَ الشيخ كتابه «**خط رقعہ کیوں اور کیسے سیکھیں**» (كيف ولماذا يتعلم خط الرُّقعة؟) ودعا طلاب اللغة العربية إلى تعلمه وتحسينه،

وكشف لهم عن أهميته القصوىٰ. وهذا أولُ كتاب أُلفَ في موضوع الخط لطلاب اللغة العربية في الهند.

قد عالج الشيخ قضايا الأمة الإسلامية: قضية الطعن على الصحابة رضي الله عنهم في ظل الثورة الإيرانية التي قادها الخميني، وقضية فلسطين، وقضية أفغانستان، وقضية العراق. وقضية الدعوة الإسلامية المعاصرة، وقضية الشباب، وقضايا المسلمين في الهند.

أما قضية الطعن على الصحابة فقد تناولها في كتابه: الصحابة ومكانتهم في الإسلام، أوضح فيه أهمية الصحابة ومكانتهم في القرآن والسنة وفي كتب علماء الأمة الإسلامية.

يعتبر هذا الكتاب إضافة قيمة جديدةً إلى المكتبة الإسلامية العامرة، والفكر الإسلاميّ الأصيل عن الصحابة رضي الله عنهم. ولذلك نشرته دارالصحوة بالقاهرة، وقدّمته إلى قراء العربية في أوساط العالم الإسلامي، ليتجدّد فيهم الإيمان بدور الصحابة في الإسلام ومكانتهم في نظر علماء الأمة الإسلامية. ونظرًا إلى أهميته تمَّ نقله إلى اللغة الأردية ونشرته دارالعلم والأدب في ديوبند.

أما قضية فلسطين فقد عالجها في كتابه: «فلسطين في انتظار صلاح دين» وتابعها منذ ٣٥ عامًا، وسَجَّلَ كلَّ ما حدث في أرض فلسطين من أحداث و وقائع، وكلَّ ما مرّت به القضية من ارتفاع وانخفاض.

فالقضية الفلسطينية أكثر قضايا الأمة الإسلامية تعقيدًا وأكثرها أبعادًا.. سواء في ذلك جانبها العسكري، أو أفقها السياسي، أو أسبابها الاجتماعيه والحضارية .

وحتى الآن لم تواجه هذه القضية بما تحتاجه من أسباب؛ فلقد انطلق اليهود من خلال آفاق عالمية، ومن خلال استشراف تام على ما ينبغي فعله، ومن خلال إحكام لنقاط الانطلاق، فاجتمعت لهم أسباب كثيرة بأيديهم، واجتمع لهم تأييد عالمي عجيب، فكان ما أشار الله إليه: «ضُرِبَتْ عَلَيْهُم الذِّلَّةُ أينَ مَا ثُقِفُوا إلاّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَبِحَبْلٍ مِنَ النَّاس» (سورة آل عمران آية : ١١٢.).

أمام هذا فقد كان المفروض أن تكون نقطة البداية في المواجهة هي الإيمان والإسلام، فقد وعد الله جنده بقوله: «وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُم الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُوْنَ» (سورة آل عمران آية: ١١١.).

وبعد الإيمان تأتي أشياء أخرى كلها ضروري، وكلها لازم، وكلها مامورون بها..

وانطلاقًا من المواجهة الإيمانية الإسلامية ستحدث أشياء كثيرة، وقد يضطر المسلمون إلى أشياء كثيرة، ولكنّ المسرى العام لن يكون إلا جيدا، ولن تكون العاقبة إلا للتقوىٰ.

بدلاً من نقطة البداية هذه بدأ الذين بيدهم القرار السياسي يتحركون من بدايات أخرى كان اليهود الأقوى فيها جميعًا، سواء في ذلك أروقة الأمم المتحدة، أو العمل السياسي، أو العمل

الإعلامي، المواجهة المادية، أو مخاطبة المصالح، أو الركوب على موجة التناقضات إلى غير ذلك. فسجلت القضية انتكاسات، وانتقل العاملون للهدف من تنازلٍ إلى تنازلٍ، ومن يدرى إلى أي حضيض ستنزل القضية؟!! بعد أن وصلت القضية إلى ما وصلت إليه، وأحسَّ النّاس بخطأ التجربة، وخطأ المسار، وأدركوا عمق الهاوية... لم يعد ينفع الترقيع، فلابد من العودة إلى نقطة البداية الصحيحة، وهي إسلامية المعركة، بأن يحمل المسلمون الحقيقيون اللواء، فهذه نقطة البداية الأولى، ثم يفكر هؤلاء في الخطوة الأولى..

قد تكون الخطوة الأولى إنشاء رباطات للجهاد على طول الحدود الإسرائيلية.. يمولها المسلمون في كلّ مكان في العالم، ويهاجر إليها المسلمون في العالم، يجتمع في هذه الرباطات نية الجهاد، والتدريب عليه، والعمل في الأرض، والإقبال على العبادة في المسجد، والهندسة المناسبة للدفاع، وقد تكون الخطوة الأولى غير ذلك .

المهم أن نبدأ مسلمين، وأن ننطلق على قدر إمكانياتنا من خلال رؤيا رشيدة مستوعبة للزمان والمكان.. ونمتلك الاستشراف السياسي والعسكري، ونتحرك على ضوء برنامج متكامل المراحل. ولابدّ على الطريق أن تتم مصالحة كاملة على الأرض اللبنانية يطمئن فيها المسيحيون، ويندفع فيها المسلمون نحو ساحة الصراع الحقيقي، بتقديم كل ما يستطيعون للقضية الفلسطينية .

ولابُدَّ أن تكون سوريا حامية لظهر العاملين للقضية الفلسطينية، ولابد من إحياء الجبهة الشرقية، ولابُدَّ أن يعتبر العراق الإسلامي هو البعد الاستراتيجي للصراع، ولابد أن تصبَّ الأمة كلها في الجبهة بعد أن تطمئن على إسلامية الجبهة، وعلى إسلامية أصحاب القضية!!

وعلى الطريق لابُدَّ من تعبئة سياسية وعسكرية لكل الأمة الإسلامية لتفجير طاقات العالم الإسلامي ضدَّ أي قوَّةٍ تتدَخَّلُ في الصراع المباشر بين أصحاب القضية وبين اليهود.

وقد تناول الكتابُ القضية الفلسطينية من وجهة نظر إسلاميةٍ، وذكر أنَّها إسلامية المعركة، ووضَّحَ المنهج العملي الموصل إلى النصر.. وهذا الذي ذكر في الكتاب هو نقطة البداية التي لايصلح بدونها شيء، ولايتحقق بالإغضاء عنها نصر.

قضية الدعوة الإسلامية :

إنّ قضية الدعوة الإسلامية في العصر الحديث هي قضية مهمة جدًا، يجب أن تكون من بين القضايا المعاصرة التي تأخذ من اهتمامنا المرتبة الأولى. إنَّ الدعوة هي رسالة المسلمين نحو العالم والإنسانية، وهي مبرر وجودهم، من أجل ذلك قد اعتبرهم القرآن: أمة أخرجت للنّاس.

وفي عصرنا الحديث ازدهرت الوسائل الإعلامية، وتنوعت وسائل الاتصال؛ بشكل لم يُسْبَق إليه مثيل.. وللأسف الشديد فقد سيطر عليها هؤلاء الذين صنعوها، وسخَّروها لأفكارهم وعقائدهم،

بينما انزوى المسلمون في دوائر مغلقة لايحسنون الفكاك منها، فلم يستفيدوا من دروس الأمس، كما ينبغي، ولم يحسنوا فقه تحديات اليوم كما ينبغي، وصاروا إلى الحال الذي نراه عليهم اليوم .

«ما تتمتع به الدعوة اليوم من وسائل، كانت لاتملك عشر معشاره في الماضي، ولكنها – رغما من ذلك – نجحت بالأمس بإعطاء المفعول، وغزو القلوب، كما لم تستطع اليوم ذلك أنها كانت تتفجر من واقع العمل والصلاح الكامل في نفس الداعية، وإنَّ تحرقه الصادق على سوء حالة المجتمع الإنساني هو الذي كان يضطره لممارسة عملية الدعوة، فلم يكن هناك بين القول والعمل ذلك الانفصال الغريب الذي نعيشه اليوم، ولم يكن المجتمع يعرف «ازدواجية» في شخص الداعية فيجد في دعوته وتبليغه وكتبه ومحاضراته، غير ما هو في واقعه العملي.

ولم تكن الدعوة مهنة يمارسها كلُّ من آنس في نفسه أهلية الخطابة والكتابة، وإنما كانت مسؤولية مشرفة يضطلع بها ذوو نفوس مشرقة بالإيمان والإخلاص، ومدجَّجة بأسلحة الاحتساب والتقوى والصلاح. وقد تتأتى أهلية الحديث والقلم بصورة عفوية عندما كانت القلب تريد أن تنطلق، أي لم تكن الدعوة صادرةً عن مجرد أهلية اللسان والقلم، وإنما كانت قائمة على قاعدة صلبة من صلاح الداعية وتقواه. وكان القلم واللسان كوسيلة يستخدمها إذا احتاج إليها، وقد يستغني عنها في كثير من الأحيان، حيث إنَّ المرء قد يجلس إلى مثل هذا الداعية أو يراه، فيجد في نفسه تأنيبًا منطلقًا من عمق الضمير، ويشعر بلمسة إيمانية قوية تخلق فيه الشعور بآثامه وتقصيره فيما بينه وبين ربه، فيتوب في نفس المجلس، ويكون ذلك نقطة تحول كامل في حياته. إنّ مثل هذا الداعية كان يقوم بعملية الدعوة بحركاته وسكناته أكثر منها بلسانه وبنانه» ([٣٢]).

هكذا يدرس الشيخ واقع الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم، ويستعرض الفرق الواقع بين دعاة الأمس واليوم، فهو يرى أنَّ الدعوة الإسلامية لاتعطي مفعولها المطلوب – رغم وسائلها المتكاثرة وإمكانياتها الوفيرة – إلا إذا سارت على المنهج الذي سارت عليه في الماضي.

كانت عملية الدعوة إخلاصًا فأصبحت رياءً، وكانت خدمة مشرفة فصارت مهنة وكانت عقيدةً ورسالة وذوقًا ووجدانًا فأصبحت غرضًا شخصيًا أو مصلحة حزبية أو جماعية وأمست صناعة وتكلفًا، كانت نابعة من الشعور الملح بالانحراف والفساد وتردي الإنسان وانحلال المجتمع الإنساني، وشقاء البشرية في حيدها عن طريق ربّ السموات والأرضين وثورتها على نواميسه وسننه وشرائعه وأحكامه، وخروجها على المنهج الذي أقامه لها والنظام الذي منحه إياها، فصارت نابعة من الشعور بالحاجة إلى ترويج الأفكار والآراء الشخصية، أو من العمالة للاتجاهات المصطنعة المستوردة أو من الانحياز لكتلة من الكتل، أو معسكر من معسكرات الشرق أو الغرب، أو اليمين

([٣٢]) الدعوة الإسلامية بين دروس الأمس وتحديات اليوم ص: ٧.

والشمال، على اختلاف تعبير رواة أمثال هذه الخرافات التي أوحى بها الشيطان، وليس لأي منها أي وزن عند الله في الميزان.

... وكانت أولاً.. وقبل كلِّ شيء محاسبة للنفس، فصارت محاسبة لما سواها من كلّ من سبقوا في التاريخ الإسلامي من النابهين في العلم والفضل والصلاح، وسمو السيرة، وعظم الخلق، ومثالية السلوك، ونزاهة النفس، وتقوى القلب .

وكانت نظرة إلى النفس، قبل النظرة إلى الآخرين، فأصبحت تشاغلاً بالنظرة إلى كل من سبقوا ولحقوا، نظرة في أعمالهم الدعوية أو التاليفية أو الخطابية، أو التجديدية أو الجهادية أو التعليمية أو التربوية، نظرة تقييم وتقدير لكل جليل ودقيق منها، ونظرة رفض وشطبٍ لقيمتها أو تصغير لأهميتها، وأحيانا كثيرة نظرة تحميل إياهم مسؤولية العدول عن الأهم إلى الهام. ومسؤولية التقصير لفهم العصر الذي عاشوه وفهم متطلباته، وأداء الدور الذي يوجبه هذا الفهم.

فهل آن أن يرتفع الدعاة من هذا الحضيض الذي أفضى بهم إليه بعض أدعياء الدعوة والإصلاح؟

ومن خلاصة آرائه وأفكاره ما سجّله في العبارة الآتية:

«لكن الفارق الأساسي بين الأمس واليوم هو الإخلاص الذي كان أقوى أسلحة الداعية، والذي أصبح داعية اليوم مفلسا فيه، وإن الدعوة اليوم لاتعطي المفعول الذي كانت تعطيه في الماضي مالم يرجع الداعية أدراجه إلى هذا السلاح الأمضى الذي سيكسب به الميدان مهما فقد من الأسلحة والمعدات»([٣٣])

هكذا زوَّد الشيخ الدعوة الإسلامية المعاصرة والعاملين في حقلها بتوجيهات قيمة وآراء وأفكار رشيدة وسديدة. وتلك الأفكار والآراء هي الجوهرة الأصيلة في الدعوة المعاصرة، يجب أن يضعها الدعاة نصب أعينهم عند ممارستها .

قضية الشاب المسلم :

لقد تناول الشيخ قضية الشاب المسلم بالبحث والمعالجة، وقدَّمَ آراء قيّمة تجاهه، فشخَّصَ الداء ووصف الدواء، وذلك بأسلوب الداعي المخلص فقال:

كثر الحديث حول الشباب والفراغ، وكثر من تناولوا الموضوع من الكتاب ورجال الدعوة والفكر، كل حسب وجهة نظره، وفي ضوء دراسته ولكنه موضوع متعدد الجوانب، وهناك شيء كثير من النواحي التي يجب وضعها في الاعتبار دائمًا لدى تشخيص الداء ووصف الدواء .

والشباب المعاصر سواء أكان أدواؤه هو الخواء الروحي والفراغ الديني أو الزهد في دينيات،

([٣٣]) المصدر السابق ص: ٢٣.

أو النظرة اللااكتراثية إليها، أو كيفية التبرم والتشاؤم والضجر واليأس، أو الحيرة المردية، أو القلق النفسي، والاضطراب الفكري، أو السلبية والتواكل، أو الحياة المادية الجنسية التي ينزع إليها، أو غير ذلك من الأدواء التي يأخذ بعضها بحجز بعض .

فإنّ المسؤول عن ذلك بجانب الأسرة والمجتمع، وبجانب الدولة التي عملت على فصل الشباب عن الدين بكثير من الأساليب التي لا يأتي عليها الحصر، من الوقوف من الإسلام موقفًا سلبيًا، وموقف المخاصم المعاند.. إلى محاربة الدعاة إلى الله، والإسلاميين من الشباب بشتى الحيل.. إلى اعتقالهم، وتكميم أفواههم، والتنكيل بهم، وتعذيبهم الجسدي والنفسي، ووأد حركاتهم وفرض الحدّ على نشاطاتهم في سبيل دفع المد الإسلامي إلى الأمام، بتهمة التطرف حينًا، والقيام بالثورة وكهربة الأوضاع ضد الحكومة الإسلامية والبعث بأمن واستقرار البلاد والشعب حينًا آخر.. إلى منح سماسرة الفنّ الرخيص حريات كاملة ليتفننوا في استغلال وضعية الشباب بإثارة الغريزة الجنسية، ودغدغة العواطف الحيوانية السافلة.. عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة والصحف، والمجلات الساقطة ذات المقالات والقصص والروايات الغرامية الجنسية، والإعلانات التجارية بعرض الصور العارية الكاسية التي تثير الشهوة الجنسية، وتحفز الفتيان والفتيات إلى تبادل الحب والغرام إلى آخر ما في هذا الطريق من اللقاء الحرام.. إلى ترك دور السينما والتمثيل تعرض الأفلام الفاحشة، وتعلق على الجدران، وعلى الشوارع والسكك صورًا عارية، وتعلم الشباب دروس الجريمة، وتبعث السيدات على خلع العذار، وهتك الخمار ونبذ الستار وإبداء مفاتنها ومحاسنها في المجتمعات العامة والشارع والسوق.. إلى قلة العناية بالجامعات والمدارس والمعاهد التعليمية والتربوية، وإلقاء الحبل على غاربها، لتختار من المناهج والمقررات الدراسية ما ينقض أوّله، وما يعاكس تعاليم الإسلام، ولايعين – بل ويعوق – على تخريج شباب كفء من المنظور الإسلامي، وكذلك تختار من الأساتذة والمربين «مغسولي الأدمغة» الذين يحملون أمشاجًا من الأفكار والفلسفات المسمومة حينًا، وتجتث بثقتهم بالإسلام وخلود رسالته حينًا آخر، كما يناقض ما تعلموه من – حسن الحَظ – في الأسرة الدينية والكتب الدينية إلى السماح للموضات والتلقيعات الغربية تجوس خلال الديار، وتحول صقور الإسلام إلى نسور، وتذيب في الشاب الرجولة والمروءة.. إلى جانب القادة الدينيين والدعاة إلى الله الذين قد يجدهم الشباب يقولون مالا يفعلون، ويلمس في شخصياتهم ازدواجية (Doubling) فهم في محاضراتهم وخطاباتهم وكتاباتهم غيرهم في واقع حياتهم وسلوكهم.. إنهم متألمون للإسلام والمسلمين فيما بين النّاس، يلقون درسًا في الأخلاق وسمو السلوك، ونزاهة السيرة. وكبر النفس والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والبطولة والكفاح والقناعة بالكفاف والصبر على المكروه، ولكنهم على مستوى الواقع العملي أبعد ما يكونون عن هذه المعاني السامية، وهناك يطرح

الشباب عنهم الثقة، وتتقذى منهم عيونهم فضلاً عن أن يتخذهم القدوة الحسنة، فبمن يقتدى، ووراء من يجري؟

إن المسؤول بجانب هذا وذلك بعض الحركات الثورية التي تتصيد الطلاب والشباب في الجامعات والمعاهد ومراكز التجمعات، وتصهرهم في بوتقة أفكارها وعقائدها الخاصة، وتكسب وُدَّهم وحماسهم، وتنمي فيهم التهور والارتجالية والعاطفية، وتسخر ذلك في تحقيق أغراضها التي تزعم أنها في صالح الإسلام، وإذا ما نجحت في تحقيق ما تريد أعطت أسوء المثل الذي أساء إليها وأساء إلى الإسلام الذي تلوذ به.

كذلك بعض الجماعات الإسلامية التي لم تفرق بين الوسيلة والغاية وضغطت على بعض الجوانب على حساب البعض، واستعمرت – إذا صحَّ التعبير – عقول الشباب وأذهانه، وفصلته عن كثير مما توارثته الأمة الإسلامية عبر الأجيال، وجعلت الشباب يسيء الظن بالماضي، وينظر نظرة استخفاف إلى كافة الجهود المبذولة فيه على أيدي المخلصين في جُل أو كل مجالات الخدمة الإسلامية، ويرى في السلف القزمية والضآلة ولايرى أحدا حتى الرعيل الأول من الأمة فوق الانتقاد، ويفكر في الإطار الجماعي المحدود التي وضعته هي، ويرى بمنظار غربي محدود، ويعتقد في من هو خارج عن الدائرة العملية التي رسمتها هي، أغبياء خونة أو قليلي الوفاء بالإسلام أو غير فاهمين لروح الدين أو جاهلين بعرض الإسلام عرضيًا عصريًا.

إنَّ مصيبة الشباب في أمثال هذه الحركات الثورية والجماعات الإسلامية لاتقِلُّ عن مصيبته في مصادر الفساد والانحراف التي ذكرناها أولا.

ولمقاومة هذه التناقضات يرى الدعاة والمفكرون أنه لابد من ثورة إصلاحية ثقافية وتعلمية شاملة وذكية يقوم بها أناس عندهم الأصالة الفكرية والعلم الواسع والاطلاع الغزير والنظرة الصحيحة الدقيقة، وتتبناها الدول والحكومات، وأن ترغم أجهزة التوجيه كلها: الصحافة والإذاعة والتلفاز والتعليم والتربية على تصحيح مسارها بتصحيح المفهومات المغلوطة في الفكر والثقافة والفن، وإعطاء القدوة الصالحة من الكبار آباء وأمهات ومربين ورجال حكم وقادة ودعاة ومفكرين .

تلك القضايا التي ذكرناها من قبل هي أهم قضايا الشباب، واستعرضها الشيخ في كتابه «المجتمعات المعاصرة والطريق إلى الإسلام» وقدّم لها حلولاً مقنعة شافية. هكذا عالج أهم قضايا الأمة الإسلامية، وأعرب عن فكره الأصيل تجاهها.

٤ - مجال الصحافة :

بدأ نشاطاته في مجال الصحافة، بعد ما تمَّ تعيينه مدرسًا في دارالعلوم التابعة لندوة العلماء، فكان يكتب المقالات في مجلة «البعث الإسلامي» الصادرة منها، وينقل في صفحاتها الكتب من

الأردية إلى العربية، كما كان يكتب العناوين في جريدة «الرائد» نصف الشهرية، لجودة خطه، وكان الشيخ سعيد الرحمن العظمي يحبه كثيرا.

ولما عقدت دارالعلوم التابعة لندوة العلماء مهرجانًا على مرور خمسين عامًا على تأسيسها وذلك عام ١٩٧٥م/ ١٣٩٥هـ، نقل عشرات من المقالات والكتيبات إلى العربية، كما كتب عددا كبيرا من اللوحات بخطه الجميل، وقد أعجَبَ ذلك كلاً من الشيخ أبي الحسن علي الندوي ونائب الأمين العام لندوة العلماء الشيخ معين الله الندوي، ودعوا له بالخير كثيرًا.

ثمَّ تولى رئاسة تحرير جريدة «الداعي» نصف الشهرية عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ثم بعد سنوات تحوّلت إلى مجلة شهرية. منذ أن تولى مهام المجلة يكتب فيها بشكل مستمر، فهو يكتب في زاوية كلمة المحرر على موضوع هامٍّ ساخن مما يتعلق بقضايا الأمة الإسلامية – أو الهندية، وذلك في شكل موجز في الصفحة الأولى من المجلة .

وفي زاوية كلمة العدد يتناول موضوعًا هامًّا بالتحليل والتفصيل، ويترك للقلم عنانه، فيشغل المقال خمس أو عشر صفحات من المجلة.

وأما في زاوية الفكر الإسلامي فهو ينقل كتابًا من كتب مشايخ دارالعلوم ديوبند إلى العربية أمثال المقرئ محمد طيب، والشيخ أشرف علي التهانوي وغيرهما من كبار العلماء والدعاة والمفكرين من أبناء الجامعة .

وأما زاوية «إلى رحمة الله» فيكتب فيها ترجمة مفصّلة لكبار علماء وقادة وساسة الأمة الإسلامية في الهند خاصة والعالم الإسلامي عامة.

وفي نهاية المطاف من المجلة يكتب في زاوية اسمها «إشراقة» يطرح فيها فكرة جديدة أو يُعلّق على أوضاع خاصة أو يسجّل تجربة عاشها، أو يعرض صورة للمجتمع. والمقال المكتوب في هذه الزاوية أدبي وفكري أو ثقافي. وهذه الإشراقة من مزايا مجلة «الداعي» يقرؤها المعنيون باشترائها بشوق ورغبة بالغين .

٥ – مجال المشاركة في الندوات والمؤتمرات بالبحوث والمقالات :

أما مجال مشاركته في الندوات والمؤتمرات ببحوثه ومقالاته فهو واسع جدا، فقد ألقى محاضرات وبحوثاً في كثير من المؤتمرات والندوات التي عُقِدت في الهند وخارجها. وأذكر هنا على سبيل المثال محاضرةً مؤسسة على تجارب طويلة ودراسات واعية ألقاها في إحدى قاعات المحاضرات لقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملية بدهلي الجديدة، على دعوة ملحة من الأساتذة والمسؤولين، وذلك في الفترة ما بين الساعة العاشرة والساعة الثانية عشرة من ضحى يوم الجمعة ١٨/شعبان ١٤٢٦هـ الموافق ٢٣/سبتمبر ٢٠٠٥م. وقد استمع لها الطلاب والأساتذة مدفوعين برغبةٍ

وحرص بالغين.

وقد استهل محاضرته قائلاً:

«الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لانبيَّ بعده . وبعد: فأيها الإخوة الكرام! يطيب لي أولاً أن أهدي إليكم أطيب التحيات وأصدق التمنيات؛ لأنكم تجتمعون الآن باسم اللغة العربية التي هي أشرف اللغة باختيار الله إياها وعاء لكتابه الأخير، المهيمن على الكتب والصحف السماوية كلها، وهي أحي اللغات وأبقاها وأخلدها؛ لأنّ الله عزّ وجل ضمن حفظها من خلال وعده بحفظ كتابه؛ فليس هناك في الكون لغة أحرى بالتعليم والتعلم من اللغة العربية، وليس هناك لغة أنفع منها؛ لأنها مفتاح علوم الكتاب والسنة، وقد أهلّها الله تعالى أن تستوعب كلامه وتسع رسالته الخاتمة، وأن تكون ذريعة مباشرة لآخر اتصال للأرض بالسماء؛ فالذين يتعلمونها ويُعلّمونها ويستغلون بها بأسلوب من الأساليب هم أسعد من جميع الذين يتعلمون غيرها من اللغات، ويتخذونها هِواية لهم وشغلاً. فهنيئًا لكم أيها الإخوة الكرام وفقكم الله تعالى لكل ما يحبه ويرضاه» ([٣٤]).

* * *

([٣٤]) مجلة الداعي محرم – صفر ١٤٢٧هـ / فبراير – مارس ٢٠٠٦م

فضيلة الشيخ نورعالم خليل الأميني صحافيا

كانت الصحافة العربية في القرن العشرين في الهند على مستوى بسيط، فكانت هناك مجلات قليلة تصدر من الجامعات الإسلامية والحكومة الهندية، فكانت مجلتا «الضياء» و«البعث الإسلامي» تصدران من دارالعلوم التابعة لندوة العلماء لكناؤ، ومجلة «ثقافة الهند» كانت تصدر من وزارة التعليم والثقافة الهندية. أمّا دارالعلوم ديوبند فكانت تصدر منها مجلة «دعوة الحق» الفصلية، تحت رئاسة فضيلة الشيخ «وحيد الزمان الكيرانوي» كما كانت تصدر تحت رئاسته مجلة «الكفاح» من جمعية علماء الهند بدهلي الجديدة .

بعد سنوات تعطلت مجلة «دعوة الحق» فأصدر الشيخ العدد الأول من جريدة «الداعي» من دارالعلوم/ ديوبند (١١ جمادى الأخرى عام ١٣٩٦هـ الموافق ١٠/يونيو ١٩٧٦م) وفوّض رئاسة تحريرها إلى الشيخ «بدرالحسن» القاسمي، ومازالت مجلة «الداعي» تصدر باستمرار حتى استقال رئيس تحريرها بدر الحسن من منصب تدريسه ورئاسة تحريرها، وغادر إلى الكويت .

هذا وقد سبق أن ذكرت أن الشيخ «نور عالم» كان يمارس نشاطاته في مجال الصحافة في دارالعلوم ندوة العلماء لكناؤ، فكان يكتب المقالات في مجلة «البعث الإسلامي» وينقل في صفحاتها الكتب من الأردية إلى العربية.

وقد شعر الشيخ «وحيد الزمان» بالحاجة إلى رجل يتولى رئاسة تحرير جريدة «الداعي» نصف الشهرية، فوقع اختياره عليه، فدعاه للاضطلاع بهذه المسؤولية، فلبّىٰ دعوته، فعُيِّن أستاذ أدب ورئيس تحرير في دارالعلوم/ ديوبند.

تولى مهام الجريدة بجدارة وأهلية، واستمر في إصدارها حتى قام مجلس الشورى التابع لدارالعلوم ديوبند بتحويل الجريدة النصف الشهرية إلى مجلة شهرية عام ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٣م، وهي تصدر حتى الآن باستمرار.

وقد كتب مئات من البحوث والمقالات التي نشرتها – بجانب الداعي – مجلة «البعث الإسلامي» وجريدة «الرائد» بالهند، ومجلة «الدعوة» ومجلة «الفيصل» ومجلة «الحرس الوطني» بالمملكة العربية السعودية .

وقد اتخذ مجلة «الداعي» الشهرية التي تصدر تحت رئاسة تحريره مسرحا لنشاطاته الصحفية، فكتب ويكتب مقالات قيّمة في شتى الموضوعات المهمّة استعرضها وأقدم نماذج منها في السطور

الآتية :

والجدير بالذكر أنه وزّع مجلة «الداعي» على عشر زوايا، وهي:

١ ــ كلمة المحرر

٢ ــ كلمة العدد

٣ ــ الفكر الإسلامي

٤ ــ دراسات إسلاميّة

٥ ــ الأدب الإسلامي

٦ ــ إلى رحمة الله

٧ ــ العالم الإسلامي

٨ ــ محليات

٩ ــ أنباء الجامعة

١٠ ــ إشراقة

وقد التزم بالكتابة في الخمس الآتية منها:

١ ــ كلمة المحرر

٢ ــ كلمة العدد

٣ ــ الفكر الإسلامي

٤ ــ إلى رحمة الله

٥ ــ إشراقة

وفيما يلي أستعرض هذه الزوايا الخمس وما يكتب فيها من المقالات القيّمة .

أما الزاوية الأولى: كلمة المحرر فيكتب فيها في موضوع هام يتعلق بقضايا الأمة الإسلامية، والمقال المكتوب فيها يسع صفحة أو صفحتين.

وأما زاوية «كلمة العدد» فهو يتناول فيها موضوعا من الموضوعات الإسلامية بالتحليل والتفصيل، ويترك القلم على سبحيته، فيمتد المقال إلى خمس أو عشر صفحات من المجلة.

أما زاوية «الفكر الإسلامي» فهو يقوم فيها بترجمة كتاب من كتب مشايخ الجامعة الإسلامية دارالعلوم/ ديوبند،وقد تمّ نقل العديد من الكتب في هذه الزاوية، كما تمّ طبعها ونشرها من أكاديمية شيخ الهند التابعة للجامعة.

وأما زاوية «إلى رحمة الله» فيكتب فيها ترجمة رجل بارز من رجالات الأمة الإسلامية في

المجالات العلمية أو الاجتماعية أو السياسية في الهند خاصة وفي العالم الإسلامي عامة، وقد كتب في هذه الزاوية تراجم مئات من الشخصيات الإسلامية حتى الآن، فإن جُمِعَتْ جاءت في مجلدات كبار.

أما الزاوية الأخيرة وهي «إشراقة» فيقدِّم فيها فكرةً جديدةً، أو خاطرة خطرت بباله، أو تجربة عاشها، أو صورة للمجتمع تراءت له، أو يُعلِّق على الأوضاع الراهنة. والمقال المكتوب فيها أدبي أو فكري أو ثقافي. والإشراقة تُعَدَّ من مميزات مجلة «الداعي» يقرؤها القراء المعنيون باشترائها بشوق ورغبة بالغين.

* * *